جيل دولوز ومسطح المحايثة

م.د. رافد قاسم هاشم

جيل دولوز حياته ومسيرته العلمية
(أ) مسطح المحايثة الافضل .
(ب)تعدد المسطحات .

جيل دولوز حياته ومسيرته العلمية:ولد جيل دولوز عام ١٩٢٥ في باريس حيث قضى معظم حياته فيما عدا فترات قصيرة من شبابه ألتحق دولوز بمدرسة عامة قبل الحرب العلمية الثانية ، وحينما غزى الالمان فرنسا كان يقضي أجازته في نورماندي ، فظل فيها لمدة عام وواصل دراسته هناك ، وقد دفعه مدرسه هناك الى قراءة نصوص "أندرييه جيد " و "بودلير" وبعدها عاد الى باريس وألتحق بمدرسة كارنون ، وفي الفترة من ١٩٤٤ الى عام ١٩٤٨ أتجه الى دراسة الفلسفة في السوربون مع زملائه "ميشيل بورو" و"ميشيل تورنو " و "فراسوا شاتلييه " ثم بعد تخرجه قام بتدريس الفلسفة في عدة مدارس بباريس حتى عام ١٩٥٧ ثم أنتقل للتدريس في السوربون في نفس العام فنصب الاستاذ المساعد في تأريخ الفلسفة ، وخلال تلك الفترة نشأت صداقته مع ميشيل فوكو والتي ستستمر حتى وفات الاخير، عام ١٩٨٢ ألدتقى بالمحلل النفسي فيلكس غتاري الذي أصبح مشاركاً له في التأليف العديد من المؤلفات الهامة ، ويصف دولوز لقائه بغيتاري باللحظة التأريخبة ،ثم قام دولوز بالتدريس في جامعة ليون من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٦٩ ، ثم تولى منصب أستاذ الفلسفة بجامعة فينسين بتوجيه من فوكو ، ثم أستاذاً في جامعة باريس التجريبية حتى تقاعده في العام ١٩٨٧ ، وفي عام ١٩٩٥ وبسبب معاناته من مرض رئوي حاد أختار دولوز نهايته المأساوية لحياته محققاً مقولة نيتشة " على المرء أن يحيا على نحو تكون لديه أرادة الموت في الوقت المناسب " [١].

(١)التعريف بمسطح المحايثة [٢]:هذا المفهوم الدولوزي الذي هو " ليس مفهوماً لآنه منفتح بأستمرار أنفتاحاً مطرد يمنع تكون " شخصيته المفهومية ". فهو ليس الا الوسط الذي تجري فيه حركات الفكر المتناهية بسرعات لامتناهية ، حركات مؤمنة من قبل أنسراعية المسطح أو " أنسيابية الوسط " وعندما تتطابق رؤية المفهوم مع أنسيابية الوسط ينتج عن ذلك أبداع فلسفي متألق ، المسطح أقتطاع من السديم الكاووسي الذي يشكل مسارح اللامتناهي [٣].وهنا تساؤل يطرح نفسه فيم تتمثل الحاجة الى أستدعاء هذا الانفتاح المفهومي المتمثل في مسطح المحايثة " الجواب " حيث أنه لايمكن للنسبي " الانسان المتعين مثلاً "أن يتصل بالمتعالي مباشرة فأنه عليه أبتداع جسور تصله به . هذه الجسور هي أمكانيات لاحد لها في سديم الوجود المتعالي و الواحد منها عندما يتشكل في ذهن الفيلسوف كبير مثل أفلاطون أو أرسطو أو كانط أو نيتشة " والجسد هنا أعادة توطين المتعالي داخل الشرط الانساني المطلق فأنه يكون عبارة عن مقطع من ذلك السديم وليست الفلسفات المادية أو الحداثية وحدها من أستحداث مسطحات المحايثة خاصة بها ، الفلسفات المثالية والاديان لها مسطحات محايثة خاصة بها كذلك حتى وأن كانت لاعقلانية ، أن مسطحات المحايثة هي قبفلسفية غير أن محايثة الاديان كالمسيحية والاسلام الكلاسيكي محايثة توظيفية تحافظ على الوضع العمودي بين المتعالي " الاله مثلا " والانسان العالم يمثل مدرجاً تحاشياً للمتعالي يعاد الصعود منه أليه بينما في محايثة الفلسفة الحديثة (أنطلاقاً من ديكارت ومع كانط وهوسرل) سوف يجعل الكوجيتو من الممكن معالجة مسطح المحايثة بأعتباره حقل الوعي هذا يعني أنها لابد أن تكون محايثة لوعي خالص ولذات مفكرة [٤]. في الاسلام الكلاسيكي المحايثة تؤمنها الملائكة جبريل مثلاً كدرجة أولى للنزول عمودياً من المتعالي ثم توضع نسخة من المتعالي في السماء الدنيا ، من بين "العزة " وأخيراً تحمل في شخص النبي الذي ليس له في هذا الامر شيء ولادخل لوعيه قط فيه . ومن ثم الى كل الناس ، أولى ملامسة لمسطح المحايثة يستدمج المتعالي داخلياً ولايطلبه من الخارج من مجال الحقل العملي كان هو مسطح "المقاصد الشرعية " التي مرت على قياس مطالب الانسان الاساسية وهي التي يمكن أن تتطور وتنقلب جذرياً الى حقوق الانسان بمعناها الحديث . أما في مجال الحقل النظري الاسلامي فأن " سيرورة ختم النبوة المتواصلة "يمكن أن تشكل مسطح محايثة أنسراع لبناء مفاهيم لاتنقطع ولايمثل الكوجيتو وقابلية التعالي لدى كانط والعقل الاستقرائي التجريبي الاورقات في هذا المسطح . الدفتر ذلك أن مسطح المحايثة " مورق ذو صحائف " ولاشك أنه من الصعب أن نقرر في كل حالة مقارنة ، فيما أذا ان الامر يتعلق بمسطح واحد أو مسطحات عدة مختلفة ، وعلى كل حال يبدو أنه بالامكان أعتبار " سيرورة ختم النبوة " مسطحاً لمختلف مسطحات المحايثة الحداثية حتى وأن هو أخذ في النشوء بعدها . فلا شيء يمنع من أعتبار صورة الفكر الحداثي عن نفسه ، أن مسطح ختم النبوة يقطع مسطح المحايثة الدينية العمودي ويتعامد معه ولاأقل من أن يكون موازياً لكل مسطحات فلسفات الذات . أن دولوز نفسه لايستبعد أن يتحول الايمان الى " حركة لامتناهية "مستقلة عن الدين وتجتاز مسطح المحايثة الجديد ولهذا لايستبعد أن يكون سبينوزا مسيح الفلاسفة وأن يقترب كبار الفلاسفة من الرسل الذين يختمون النبوة بكل حال ، أي الذين يحولون المتعالي من الخارج من فوق الى الداخل كسعي الى متعال ما، محايث للذات مثلاً التي تكون قابلة للتعالي وليست متعالية . بالامكان أن نلخص القول بأن هناك مسطحين للمحايثة :

(١)مسطح أول يتبع التقليد الديني يتمثل في مقطع من سديم الوجود قامت به حركة الوحي عمودياً " الالهام ، الاسطورة ، الرؤى والكشوفات كلها ورقات لهذا المسطح الديني " .

(٢) ومسطح ثاني متعامد مع الاول يسارع في أنسيابه منذأعلان ختم النبوة ، أما بقية أنماط البناء الفكري فهي تتجاوز أن كثيراً أو قليلاً مع هذين المسطحين وقد تكون حصيلة تقاطعهما " علم الكلام ، اللاهوت مثلاً أو التفسير والفقه القديم ".

---

[١] بدر الدين مصطفى "فلسفة مابعد الحداثة "
دار المسيرة للتوزيع والنشر ، عمان ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١١ ص ١٠٩ .

[٢] المحايثة : تعني الملائمة للكائن أو لمجموعة كائنات ولاينشأ المحايث عندها من فعل خارجي .
معجم لالاند ، منشورات عويدات ،بيروت ، باريس ،١٩٩٦ ، ص ٦٢٣ .ء

[٣] جبل دولوز " ماهي الفلسفة " ترجمة :مطاع الصفدي
مركز الانماء القومي ، اليونسكو ، باريس ،بيروت ، لبنان ،ط١، ١٩٩٧ ،ص٦ .

[٤] مصدق بن علي الجليدي " من طوبوغرافيا الاعتقاد الى مسطح المحايثة " مقال ٢٠٠٨ ، منبر حر للفكر والثقافة والادب
alarab com.www.diwan

لقد كشفت بنية التصورات الدينية التقليدية عن تموضع المتعالي في أعلى هرم الوجود الذي لايبدو الانسان ضمنه الاكموجود " قميء " وحيث أستحكم هذا التصور بذهنه لمدة قرون طويلة فأن الفرصة الحقيقية الوحيدة أمامه لآحداث قطع جديد في سديم الوجود هو أن يتولى المتعالي القديم نفسه مساعدته على أيجاد مثل هذا القطع ويمثل ذلك في النبوة الاخيرة التي أرادت تحويل نظر الانسان الى داخل نفسه ذاتها " وفي أنفسكم أفلا تنظرون " [١]. أنطلقت صيرورة ختم النبوة التي تستمر عبر جهود الفلاسفة والعلماء في أنشاء مسطح محايثة جديد متعامد مع مسطح الوحي يعاد فيه توطين المتعالي أرضاً بأنسيابية لامتناهية .

محاذير قراءة المفاهيم الدولوزية في الفلسفة :يبدأدولوز مسيرته الفلسفية مترحلاً من رحم فلسفي الى أخر ومن فيلسوف الى أخر من التجريبية والذاتية عند هيوم الى فلسفة كانط النقدية وسبينوزا أو التغيير ونيتشه وفلسفة نيتشة وفوكو ، أن دولوز يقرأ فلاسفة متعددين ومختلفين أو دولوز يكتب دوراته المتعددة ويرسم خطوط أنغلاقه وترحاله ، فيلسوف لايكتب الفلاسفة الاخرين بمقدار مايكتب تعدده الفلسفي ماجعله يستحق ماأطلق عليه فوكو وأمتدحه دولوز " هذا المجموع بما هو تركيبة مديدة أسم شهدتها هو ميشيل فوكو ، رجل بلا مراجع "[٢] . وحول وصف كتاب " الالف ربوة " يصف د. فيليب مانع في كتابه " نسق المتعدد في الفصل الاول المسمى " بالريزوم التشجيري" بالقول " تأخذ مقدمة الكتاب على عاتقها مهمة حصر مجمل المواصفات التي تلحق بمختلف أوجه التعدد فالواقع بما يشمله أشياء وأحياء تدب وخطابات " متشابكة ومرتصفة في شكل طبقات " هي جميعها تمثل خطوطاً ممتدة غير أن هذه الخطوط هي على غاية من التباين والاختلاف منها ماهو منتظم حسب مبادىء ثنائية على طريقة الازدواج المتضاد ، ومنها ماهو منتظم حسب نسق تشجيري متعدد الفروع فهو يقوم وينبني على الاسس التالية الاول فالثاني هما أس الاختلاف المشوش وأس الترابط ، والاس الثالث هو أس التعدد ، أن التعدد هنا ليس صفة أو نعتاً وأنما هة أسم مبتدأ ، والمهم أن ليس ثمة وحدة عامة تشمل الكل " [٣].

أن العلاقة بين الكتابة والواقع عند دولوز وغيتاري هي صورة معقدة للصيرورة كعملية متداخلة وترحالية في جوهرها ليست عملية نسخ أو تقليد وليست ظاهرة محاكاة أو حركة مصححة بل هي حركة أصطياد مزدوج ، فيض هائج ، وأحتفال دائم ترتسم دائماً كخريطة وتمتد كجذمور ، فالكتابة لاتنسخ العالم أو تقلده وأنما تخترقه وتخترق به لتصيير أحسن خريطة ويصير جزء من خريطتها ليشكلا معاً للجذمور خريطة ، ويعطيا للخريطة صيغتها الجذمورية الممتدة في تشابكها والمتشابكة في أمتدادها فكل كتابة تتراكب مع العالم فتعدل من صيرورتها وضرورة كما يفعل في مجالها مع الحفاظ على صيرورة كل منهما .

الكتاب كصورة جذمورية صورة مغايرة لصورته الشجرية صورة يتبدى فيها الكتاب كسيلان للرغبة ويعمل بها وتركيب مع التأريخ لاتأمل له ، أنه نقطة وسيطة دوماً ومنزع من تشابكات أخطبوطية دائمة النماء وهذا التصور يتصدى لصورة الكتاب كشجرة صورة شيء له بداية محددة ، ونهايات واضحة بينهما مسارات مصححة في أتجاه مغلق أنها صورة الكتاب المكتمل المنغلق على ذاته ، رمز المعرفة الكلية المنغلقة . الاسلوب هنا هو ترتيب قول ، أو تركيب ما ، تركيب مع العالم وحاله تركيب مع اللغة ، أنه التأتأة في لساننا نفسه . أن يكون الكاتب والكتاب تمام اللغة نفسها ، أن يكون كغريب في لسانه نفسه أن يجترح مغترباً أو خط هروب ، لغة الاقلية أي اللغة المكتوبة في الهوامش المهموسة في الزوايا ، لغة الممنوع والمحرم ، والازدواج اللغوي الترميز المضاعف ،أتباع كل ذرة كل فكرة ، الصور بين الافكار ، رسم خطوط تعبرها ، أزالة كل مشوردات ، ونفاية الاحتفاء بالمتنكر والطازج والمنبثق ، والقطع والتهديد والتشويه ، أننا نسمي أساليب كما يقول النحات جياكوميني " أشكال الرؤية هذه المتوقفة في الزمان والمكان " ولكن المر هنا مختلف دائماً يتعلق بتجديد الحياة حيثما هي أسيرة ، الاسلوب يدخل لغة في اللغة ، لان الكتب الجميلة كما يقول "بروست " هي التي كتبت بلغة خاصة داخل اللغة نفسها ، وكأنها لغة أجنبية في لغتها ، أنها ضرب من الانحراف ، باللغة والانحياز داخلها الى الغريب فيها وفي الفكر والحياة .

قراءات الواقعي والممكن في الفلسفة الدولوزية :يحاول جيل دولوز في مؤلفه " ماهي الفلسفة " أن يقدم بانوراما ماردة تخترق سحب الفهم العصية ليثبت أمرين في غاية الاهمية:

(١)أن المفهوم " الافهوم " ليس هو المفهوم الذي ندركه حينما نتحدث عنه في مختلف ميادين الابحاث ، أي ليس هو المفهوم بالمعنى التقليدي الثابت أنما هو المرئي واللامرئي الذي يفرض ذاته على الاشياء وعلى نظامها ، وكذلك على الباحث والمفكر ويتأسس بهم ويؤسسهم بنفس الدرجة .

(٢) أن المسطح هو الذي يسمح بولادة المفهوم ويكون جزءاً منه ويشارك في ضبط تجريدات " الحاضر والغائب " ليخلق علاقة ممتدة ومحدودة ولامحدودة مابين الثالوث " أي طرف كان لكن شريطة أن يكون قادراً على خلق مابينه وبين الجميع أو بعض الاطراف الجوهرية " السمة الغائدة النسبية " [٤].العلاقات مابين المفهوم والمفهوم الاخر أو مابين المفهوم ومسطح المحايثة أو مابين المسطح والمسطح الاخر لاتتغير بأي شكل من اشكال الترابط مابين محتوى " الماهية والصورة " لدى أرسطو . من هنا كان علينا أن نكون حذرين حول صياغة وفهم المفاهيم الفلسفية الدولوزية ونستخدمها في مجالها الصحيح بعد الاخذ بالاعتبار علاقة المفهوم بالمفاهيم الاخرى المجانبة له .

(١)رغم أن دولوز لايمايز مابين الفلسفة التي تدرس المبادىء والتعلقة بها وتلك التي تبحث عن مبادىء حيوية في مرحلة معينة من محايثة موضوعية فقد يتفق معه أن الفلسفة ليست هي فلسفة المبادىء بل قد تذهب أكثر من ذلك وتؤكد أن موضوع الفلسفة لاينبغي أن يكون محدداً لثلاثة أسباب السبب الاول مبدأ التطور العام والسبب الثاني تطور العقل المعرفي في ذاته والسبب الثالث تطور موضوعات العلوم . لكن أذا لم تكن الفلسفة حسب التعريف الاغريقي الارسطوي هي معرفة المبادىء وأذا كانت هي أبداع الافاهيم

---

[١] المؤمنون أية "١١٧"

[٢] مالك الديماوي " الامعان في الهدر خلف الخطوط ، قراءة في فكر دولوز " . Com www.ejtemay

[٣] فيليب مانع " نسق المتعدد " ترجمة عبد العزيز بن عرفة . دار الحوار ،سوريا ، اللاذقية ، ط١ ،٢٠٠٣ ، ص ٩٢ .

[٤] هيبت باتي حلبجة " جيل دولوز أشكالية مفهوم الافهوم "

حسب دولوز ، فهل يمكننا الجزم بالقطع أن سقراط مثلا لم يمارس أبداع الافاهيم بالنسبة الى الاخلاق في عصره هذا من حيث المبدأ أما من حيث النتيجة مالذي يحدد طبيعة المبدأ والمفهوم في عصر معين .

(٢)لقد أنتقد دولوز الفلاسفة في عدم تمكنهم من ربقة ونثر المبادىء الاولى بما فيهم الالماني كانط الذي سعى جاهداً الالتفاف عليها من خلال " نقد العقل الخالص " فهل نجى منها دولوز أو من بعض نتائجها ؟ ألم يمارس من خلال سطوة الافاهيم نوعاً من العقل الشمولي العقل الكلي ، العقل الذي يصادر كل العقول الاخرى .

(٣)يحارب دولوز سكونية الافاهيم بالمطلق ضمن مسألة خاصة وهي أن الشيء ونظامه شيئان من شيء واحد . أو شيئان من مسطح ما يحددان مفهوماً مشتركاً وكأنه في محاربته البحث عن الحقيقة كمفهوم عائم ينتقل الى مجال أخر تعس وعائم هو أدوات البحث .

(٤)نتفق مع دولوز أن البحث عن الحقيقة هو البحث عن لاشيء بل نذهب أعمق من ذلك ، ونؤكد أن الفلسفات الكبرى مافتئت تبحث الاعن تلك الافاهيم التي يبحث دولوز الان عن ظلالها وهذا ماجعله عائماً كمفهومة وكمادي ساذج :

(٥)من الصفحة "٤٣ " من مؤلفه " ماهي الفلسفة " يقول :

"فليس مفهوم الطير متضمناً في جنسه أو نوعه أنما في تركيب وقعاته وألوانه وأغاديره " والان وبغض النظر عن مالفرق بين الجنس والنوع من جهة والوقفات والالوان والاغادير من جهة ثانية ، يقول دولوز كيف أدركت أن مفهوم الافهوم ليس من الجنس والنوع أنما من الالوان والاغادير ، التي لانك ترى مفهوم الطير بصورة ثابتة وهو موجود في ذهنيك وتصوراتك السابقة .

(٦) أذا رجعنا الى الوراء ورأينا الصفحة "٣٩" حينما يتسأل دولوز " ماهي الفلسفة " ويجيب مباشرة لاوجود لمفهوم بسيط كل مفهوم يملك مكوناته ويكون محدداً بها . للمفهوم أذن رقم أنه تعددية حتى وأن لم تكن تعددية مفهومية ، لاوجود لمفهوم أحادي المكون وحتى المفهوم الاول تبدأ به فلسفة ما فأنه يتوفر على مكونات كثيرة .

(٧)أذا كان المفهوم تعددياً فأنه لايمكن أن يكون كذلك الابشرط واحد فقط وهو أحتواه على مفاهيم بسيطة عديدة فالتعددية تفرض خاصية واحدة على مفهومها وهي الكثرة في ذاتها تحديداً وليست الكثرة في شيء أخر ، بمعنى لاالكثرة في مكوناتها ولا الكثرة في مسوغاتها وأسبابها ولاالكثرة في أنواعها وأشكالها .

(٨)يؤكد دولوز أن لكل مفهوم تأريخاً ولكي نصل الى هذه النتيجة وهو يزعم أن العالم الممكن هو العالم الموجود " هناك " وهذا العالم الممكن ليس واقعياً أو ليس واقعياً وحسب وقد لايتحول الى واقعي الى الابد .

(٩) من جهة ثانية يزعم دولوز أن وجود الغير هو الوجود اللاحق للانا فمفهوم الغير لاينتقل بوجوده ولايستغني عن وجود الانا التي لاتتحدد فقط ذاتها أنما الذات الموازية لها في مفهوم الغير لذلك لاوجود "للعنقاء " الاأذا تحدثت أنا عنها .

هذه هي أشكالية التأريخ في ذهنية دولوز فلكي يتحول " الشيء الذات " الى مفهوم ينبغي أن يكون له بالضرورة تأريخاً وهذه هي الصيغة المقلوبة أو الاستنتاج المعكوس للصيغة التي طرحها دولوز وحتى أن تتحقق هذه الصيغة لامناص من أن يتحول الممكن الى الواقعي وهنا توجد ثلاث مأخذ :

(١)المأخذ الاول : أذا كانت الانا هي التي تحدد وجود الغير فمن الذي يحدد وجود الانا هذه أي مالذي يحقق التحول العقلي للانا من الممكن الى الواقعي ، فأذا وجد وسط ما فأنه ملغي أوتوماتيكياً حسب دولوز نفسه ، وأذا تحقق ذلك دون وسط فهذا ينفي أيضاً العلاقة مابين اللاأنا والغير .

(٢) المأخذ الثاني : أذا كان لكل مفهوم تأريخ فامفهوم النقيض أيضاً تأريخ نقيض أي أن للمفهوم ونقيضه تأريخان أحدهما يختص به والاخر يناقضه. وأذا ماتم ذلك حسب دولوز ، فأن مقولة لكل مفهوم تأريخاً تغدو على الاقل نسبية ليس بمعنى التضاد مع المطلق ، أنما بالتوافق الذي هو في الحقيقة أساس نقيض المفهوم أكثر من تمثله للمفهوم نفسه والاماكان تأريخاً هو روح محتوى التطور .

(٣)المأخذ الثالث قد ينفد البعض ويؤكد أن دولوز لايقصد العنقاء بل يقصد الصين لانه نقول ، العلم الممكن هو العلم الموجود هناك والعنقاء ليس موجوداً هناك أنما هو الصين

(١٠)بعد أن بين دولوز أن لكل مفهوم تأريخ لامناص الا أن يثبت أن به صيرورة لانه يدرك تمام الادراك أن الفحوى الاول عائم وسديمي ولاينفذ المفهوم الدولوزي .

(١١) فيما يتعلق بخصائص الافهوم فهي كما يلي :

(١) لايميل كل مفهوم الى أفاهيم أخرى داخل تأريخه فحسب وأنما داخل صيرورته وأتزاناته الحاضرة كذلك فيوفر كل مفهوم على حركات يمكن أن تؤخذ هي بدورها كمفاهيم .

(٢) أن خاصية المفهوم هي جعل المركبات غير منفصلة بداخله فهي متمايزة وغير متجانسة مع ذلك فأنها غير منفصلة .

(٣) أن كل مفهوم هو بمثابة نقطة ألتقاء وتركيز أو تراكم لمركباتها الخاصة .

(٤)المشروع الفلسفي الدولوزي :

ثمة أوصاف عديدة قدمت لفلسفة دولوز فهي تسمى فلسفة الكثرة ، أو فلسفة الحدث " والتراسنتدالية التجريبية " وفلسفة المحايثة ، ويطلق على نسقه " نسق المتعدد " ، أما هو فيوصف " بفيلسوف الاختلاف " ومبدع المفاهيم ، ربما تعود هذه الاوصاف الى صعوبة تصنيف فلسفته داخل أطار واحد ، فهو صاحب فلسفة مفتوحة تستوعب العديد من التفسيرات والرؤى .[1]

يقول ريموند ميلور أن أعمال دولوز على أتصال مباشر بالكل الفكروالفن والعلم والجسد والاحياء ، هذا بالاضافة الى الحقول المعرفية العديدة التي ساهم فيها دولوز من خلال أنتاجه الفكري " الفلسفة السياسية ، علم النفس ، اللغة ، الفنون بكل أشكالها " كل هذا يجعل من الصعب تصنيف فلسفته ، أو حتى تحديد أتجاه واحد لاعماله . يصف الان باور دولوز في الفصل الذي يحمل نفس العنوان "أي دولوز " قائلاً لم يكن دولوز بنيوياً ولاظاهراتياً ولاهيدجرياً ولاتحليلياً بل كان قطباً بمفرده ، من هذا المنطلق يرفض دولوز تصنيف فلسفته ضمن مسار محدد أو مدرسة بعينها لايمكننا الانتماء الى مدرسة . هو مثله مثل فوكو ودريدا يرفض أن يحسب على تيار مابعد الحداثة ، أذ يؤكد هو وغيتاري على كونهم غير مرتبطين بهذه الحركة ، ويأخذون عليها كونها غير محددة ومتشائمة ولكنهم في الوقت ذاته يتعاطفون مع مقاومتها لما يسميانه الخطاب المهيمن في نفس السياق يرفض بادو التفسير مابعد البنيوي لفلسفة دولوز ، ويعتبره حداثياً قحاً ، سيطرت على فلسفته فكرة الكل أو الواحد مثلما هو الحال مع سبينوزا وليبنتس وهيجل ، وغيرهم من فلاسفة الحداثة "

[1] د. بدر الدين مصطفى " فلسفة مابعد الحداثة " . ص٢٥

وعلى النقيض من ذلك يذهب الناقد الماركسي تيري أيجلتون الى أن دولوز هو المفجر الرئيسي لتيار مابعد الحداثة في الفلسفة ويرى أن نزعة مابعد الحداثة لانجدها في أي مكان أشد عنفاً بما هي عليه في كتاب دولوز وغيتاري" ضد أوديب " وهو نفس ماذهب أليه أيهاب حسن في كتاباته المتعددة على مابعد الحداثة ، وينضم الى هذا الرأي أيضاً فيليب مانج الذي يعتبر كتاب دولوز "الالف ربوة " عبارة عن كتاب في المنهج الجديد لما بعد الحداثة "[١] .

وحول أسلوب دولوز في الكتابة فيصف الدكتور بدر الدين مصطفى أسلوب دولوز بالصعوبة والتعقيد بحيث يصعب على القارىء أي من أعماله أيجاد رابط متصل أو موضوع ثابت أو مفاهيم محددة منضومة لاتتقدم في أتجاه معين بل هي تذهب في جميع الاتجاهات وفي داخل النص تتولد المفاهيم في أيقاع متواتر وسريع . وما أن يشعر القارىء أنه كاد أن يدرك دلالة المفهوم حتى يجد هذا المفهوم قد تفرع وتشعب الى مفاهيم صغرى متنوعة ، وكما تقول بابرا كندي في كتابها " دولوز والسينما " أن دولوز شخصية متعددة الالوان والايقاعات والتنويعات فتقدم نصوصه بلاتوهات ولوحات واسعة التنوع تقدم نفسها كأحداث وخطوط وأرض للمفاهيم وملاحظات وأيقاعات وتشكلات ، أنها أشبه بالمسرح أو المصنع وتستطرد قائلة أن أفكاره تتداخل وتتفاعل فتنفصل وتتشتت وتتهشم وتتضاعف وكثيراً ما تتصادم لدرجة أننا نعجز عن بلوغ صيغة مجردة للعمل الواحد، وهذه الصعوبة نابعة من فهم دولوز الخاص لاسلوب وطريقة الكتابة الفلسفية ،أن الاسلوب المتعارف عليه في الكتابة الفلسفية هو الذي يبدأ في الغالب بتحديد المشكلة موضوع البحث ، ثم التعامل معها بالمنهج أو الاسلوب الذي يتبعه كل فيلسوف وصولاً الى التصور الذي هو بمثابة النتيجة ، هذه الطريقة في الكتابة يطلق عليها أسم الطريقة الشجرية المكونة من جذر وساق وأوراق وهي الفرض قد تشعب عبر التحليل الى قضاياه المكونة له ، وتكون الثمار هي المقابل للنتائج التي يستخلصها الفيلسوف في النهاية هذه هي الطيقة المستقرة في الكتابة الفلسفية وعرض هذا الاسلوب في الكتابة يدعو دولوز لما أطلق عليه الكتابة الجذمورية ،

(٥)مسطح المحايثة قراءة في المفهوم :" أن المفاهيم بحسب دولوز تكون محايثة بنفس القدر الذي تكون فيه متعالية أنها تكشف للحدث فأن نفكر معناها أن نجرب "[٢] لكن التجربة هنا لاتشير الى المعنى الفيزيقي الحسي أنما تعني أن الفكر مهما بلغت درجة تحدده يرتبط بمسطح محايثة ما . بأرض أو بأقليم معين . لذا فلابد أن نتسأل عند تعاملنا مع أي مفهوم عن مسطح المحايثة الذي يشغله وغالباً مايكون هذا المسطح مرتبط بمشكلة أو معضلة واقعية تواجه الفيلسوف وأذا لم نجد المعضلة المصاحبة للمفهوم فأن كل شيء ينفي تحريرياً . لقد أبدع أفلاطون مفهوم " المثال " رغم تعاليه فوق مسطح من المحايثة مرتبط بالوسط الاغريقي الذي كان يعيش فيه ، وهو وسط كانت تحل فيه فكرة التنافس ، التي هي أحدى تجليات الدولة الديمفراطية التي أسسها الاغريق مكانة رئيسية وماكان يشغل أفلاطون رغم عدم قبوله للصفة الديمقراطية للدولة ، أثناء طرحه لهذا المفهوم تميز المتنافسين والاختيار بينهم ، المتنافس الجيد من الرديء ، الحقيقي من المزيف ، وعلى الرغم من أن لكل مفهوم مكانه وزمانه الخاصين ، الاأن المفهوم كالعمل الفني يظل خارج سياق الزمن لاتسري عليه قوانينه وبذلك تتوفر للمفاهيم طريقتها في عدم التعرض للفناء رغم كونها مؤرخة وموقعة ومسماة وكل مفهوم له سياقه الزماني والجغرافي الذي أنتج فيه ، لكن يظل هذا السياق بمنأى عن المفهوم في ذاته ينفلت المفهوم بأستمرار خارج هذا السياق لتدخل في تشكيلات جديدة وتنسيقات وسياقات مختلفة في زمان وجغرافيا جديدين تتمثل تلك الجغرافيا فيما أطلق عليه دولوز مسطح المحايثة [٣] . ويمكن توضيح مايقصده دولوز من هذا المفهوم بمثال أشار أليه هو نفسه بألقتضاب حيبما قال أن المسطح يشبه الصحراء التي تؤمها المفاهيم دون أن تتقاسمها ، فلنتخيل أذن صحراء شاسعة مترامية الاطراف تسكنها مجموعة من القبائل المتفرقة كل منها يشكل منطقة محددة منفصلة عن الاخرى وتتناثر هذه القبائل بطريقة عشوائية وربما فوضوية أيضاً ، حيث تغير مواقعها بأستمرار من خلال نقاط الفراغ المتوفرة على المسطح وكل قبيلة من هذه القبائل لها أمتدادها : الزماني والجغرافي لكن هذا الامتداد يجعلها تركن وتستغرب موضعها فهي دائمة التنقل والترحال والبحث عن الجديد ، البحث عن الماء والطعام والشراب ، وهي مطالب مستمرة لايسكنها الاشباع هذه القبائل تختلف من حيث الكم والمساحة التي تقتطعها لنفسها ، لكنها تشترك جميعاً في حركتها المثمرة وصيرورتها وأرتحالها المتواصل كما أنها متصلة ببعضها من خلال علاقات النسب التي تربط بين أعضائها ، الصحراء هنا هي مسطح المحايثة أو الانبثاق أو المثول ، وكلها معانً واحدة والمفاهيم هي القبائل التي تشغلها وسيد كل قبيلة هو الفيلسوف الرحالة مبتكر المفاهيم الذي يقودها ويبحث لها عن أماكن جديدة تعمرها بأستمرار ، الصحراء رمز المطلق أو السديم ، فالمسطح هو المطلق اللامحدود الذي لاشكل له ولامساحة ولاحجم . القبائل متغيرة أما الصحراء فثابتة أن المفاهيم أشبه بالموجات المتعددة التي تعلو وتهبط ، ولكن مسطح المحايثة مو الموجه الوحيدة التي تلفها وتنشرها [٤] . الفبائل أحداث أما الصحراء فهي أفق الاحداث السماء المرصعة بالنجوم ، القبائل متعددة أما الصحراء فواحدة ذات ديمومة ، أن المفاهيم تتزامن وتشغل المسطح وتملآه قطعة قطعة بينما المسطح هو الوسط الذي لاينقسم أذ تتوزع المفاهيم دون أن تلغي وحدته وأستمراريته وأذا كانت القبائل هي التي تتكفل بأعمار الصحراء فأن هذه الاخيرة هي التي تؤمن التواصل بين القبائل ، أن المسطح هو الذي يؤمن أتصال المفاهيم بواسطة ترابطات تتزايد على الدوام والمفاهيم هي التي تؤمن أعمار المسطح وفق مساحة تتجدد وتتغير بأستمرار المفاهيم كلها تتناثر على مسطح المحايثة واحد غير أن هناك مسطحات محايثة جزئية فكل مذهب وكل فلسفة لها مسطحها الخاص ، كما أن لكل فيلسوف مسطحه الذي من الممكن أن يعاد أحياؤه من جديد والفلسفة والعلم والفن لكل منها مسطحه الخاص الذي لايمكن أن يتماهى مع نظيره . أن كل مفهوم يتضمن مسطح محايثة خاص به يتكشف من خلال البحث عن المعضلة التي تكمن وراءه كما يقول دولوز فأن الافكار ليست نتاج الخبرة فهي تظهر كأشكاليات وتتكشف كموضوعات ذات صورة مفصلة وتلك هي أهمية الاسئلة في الفلسفة ومايدعوه دولوز ، متابعاً في ذلك هيدجر بفن أبتكار السؤال هو محاولة الكشف عن المعضلات التي تحرك تأريخ الفلسفة التي تكمن وراء البناء المفاهيمي الخاص بها ، أن المفاهيم ليست سكونية الطابع يبدعها الفيلسوف ثم تفقد بريقها مع مرور الوقت وأنما يدخل كل مفهوم منذ أبداعه في عمليات عدة يكتسب في كل منها معان متجددة بحيث يظهر في كل مرة بصورة مختلفة عن سابقتها نفكر بأن نجد خارج المفهوم (ا) محمولاً (ب) يكون غريباً عن هذا المفهوم لكننا نظن أن من واجبنا أحاق هبه ، فكل مفهوم هو في علاقة مع شيء أخر هو خارج عنه ، فالمفاهيم تتطور مع التطور

---

[١] المصدر السابق ص ١١٢ .
[٢] جيل دولوز " ماهي الفلسفة " ص ١٢٣ .
[٣] د. بدر الدين مصطفى " فلسفة مابعد الحداثة " ص ١٤٦ .
[٤] جيل دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٥٦

الزماني والمكاني بحيث تدخل في علاقات جديدة مع مفاهيم أخرى أنتجت في أزمنة مغايرة كما تنتقل من مكان لآخر أو من سطح لأخر مغاير لتحمل بدلالات جديدة في كل مرة وكذا أيضاً في أنتقال المفهوم من مجال من مجال الى أخر ويتطلب هذا " وفقاً لدولوز " أن يكون للمفهوم شخصية مفهومية تساهم في تحديده . الفيلسوف أذن مجرد وسط لظهور المفهوم وأنبثاقه الفيلسوف هو الذي يجسد الشخصية المفهومية أنه الاسم المستعار لهذه الشخصية المفهومية وقدر الفيلسوف هو أن يصير أحد هذه الشخصيات لاقيمة للفلسفة أذن لو تخلت عن دورها في أبداع الافاهيم مثلما لاتوجد قيمة لفلسفة لم تبدع في مجال المفهوم هناك كتب عديدة لايمكن أن نقول عنها أنها خاطئة ولكنها عديمة الفيمة وذلك لانها لم تبدع مفهوماً ولاتحمل ألينا صورة عن الفكر ولاتولد شخصية تستحق العناء [١] .

يصبح أذن تأريخ الفلسفة وفقاً لدولوز هو تأريخ المفهوم وتحولاته رحلته في الزمان والمكان تجاوباته وتداخلاته مع المفاهيم الاخرى فالفلسفة تعمل من خلال المفاهيم ولو حذفنا من تأريخها مفاهيم مثل الجوهر والمثال العقل والعلة والمعلول فلن يتقبل منه شيء كما أن التفسيرات التي طرأت على المذاهب والانساق هي في الاساس تغيرات لحقت بالمفاهيم الاساسية في كل مذهب ونسق . وكل فلسفة مرهون بقائها ببقاء مفاهيمها أن سقوط المذاهب والايدلوجيات لايعني سوى أن مفاهيم معينة عاشت وكان لها أن تموت في النهاية .

(٦)تأريخ الفلسفة وضرورة تجديد الافاهيم :لاتبتدع الافاهيم توخياً للمتعة والتسلية بل تبتدع نتيجة ضرورة نجدها على مسطح المحايثة وهذه الضرورة هي أمر غريب ومعقد ويمكن التعبير عنها بمسألة الفيلسوف الاساسية التي جعلت قوله الفلسفي ممكناً والتي أطلقت عملية التفكير من جديد . لاتموت الافاهيم ولايتم تجاوز الفلاسفة مازلنا نعود أليهم وننهل منهم ، يتم تجاوز الفلاسفة السابقين من خلال معلوماتهم والامور التي لاتتعلق مباشرة بالقول الفلسفي فتأريخ الفلسفة يهمل القشرة الخارجية للعقل الفلسفي وما يتعلق بأراء الفيلسوف ومعتقداته ويحافظ على النبض الفلسفي الاساسي وما يلازمه من أبداع للافاهيم وتغيير طريقة التفكير ، لقد تم تجاوز أفلاطون وأرسطو علمياً لكن لم يتم تجاوزهما فلسفياً ولايمكن لأحد أن يقول أنه يفكر أفضل من أفلاطون وأرسطو . مايهم هو أن نعرف كيف نستثمر طريقتهما في التفكير لنتمكن من التفكير مجدداً ، وليس التفكير حالة طبيعية يتمتع بها الانسان ويمارسها من خلال ملكة طبيعية كما ذهبت الى ذلك صورة الفكر الكلاسيكية بل لابد في توليد حقل التفكير في الفكر ، لان الافاهيم ليست معطيات جاهزة ولاتصورات نحصل عليها بالتجريد أو التعميم يبتدع الفيلسوف مسألة ما ويبدأ بأبداع الافاهيم المناسبة لهذه المسألة ، هناك علاقة ماللفلسفة بالمعطيات والتصورات لكن كمعرفة للتسأول الفلسفي ، التسأول الفلسفي نشاط أبداعي خالص وهو مايميز الفلسفة عن العلم والفن . [٢]

أذن علينا أن نحدد دائماً في الافاهيم التي نستعلمها عبر تحويرها وتحويلها " يتطلب تعميد الافهوم ذوقاً فلسفياً يعمل بعنف أو بالتلميح ويشكل في اللغة لغة للفلسفة وليس مجرد مفردات (خاصة بها) بل تركيباً نحوياً يرقى الى الرائع أو الى جمال عظيم ، أن الافاهيم والحالة هذه وأن كانت مؤرخة وموقعة ومنحوتة لها طريقتها في البقاء . ومع ذلك فهي تخضع لمقتضيات التجريد والاستبدال والتحويل التي تعطي الفلسفة تأريخاً وجغرافيا أيضاً مضطربين حيث يحفظ كل أوان مطروح ويمضي ولكن خارج الزمان " . [٣]

أن للفلسفة تأريخ وجغرافيا أي تأريخ صيرورة ويهتم دولوز بالصيرورة أكثر مما يهتم بالتأريخ حتى في تأريخه للفلاسفة فأنه يجري ضرورات بين الفلاسفة من هنا تفاجئنا قراءته للفلاسفة . وليس للفلسفة تأريخ وصيرورة وحسب بل لكل أفهوم تأريخ وصيرورة أيضاً ويتعلق تأريخه بمكوناته التي يتألف منها والتي تتعلق بمكونات أفاهيم سابقة تنبت على مسطحات أخرى ، أما صيرورة الافهوم فتتعلق بصلته مع غيره من الافاهيم على المسطح نفسه ، لذا على كل فيلسوف أن يبني أفاهيمه على أرض واحدة . وأن كان لهذه الافاهيم تواريخ مختلفة وأن يدرج أفاهيم غيره في مسائله . أو بالاحرى يتطلب المسطح المسطح الجديد ، ويستدعي بالضرورة أبداع أفاهيم جديدة وتجديد أفاهيم سابقة ، يخترع الفيلسوف أفاهيم جديدة وينشط أفاهيم سابقة أو يعيد أحيائها حتى وأن أدى ذلك الى تعديل في مضامينها وحذف مكونات منها أو أضافة أخرى أليها . لايقوم الافهوم عند دولوز الامن خلال مسطح المحايثة الذي يبدع عليه ومن خلال المسائل التي يجيب عنها ومن خلال حلته مع بقية الافاهيم التي تنشىء على المسطح نفسه من هنا لابد للمفهوم السابق أن يخضع للتعديل والتحوير حتى نتمكن من أدراجه في المسائل الفلسفية الراهنة يقول دولوز : " بالتأكيد على المفاهيم الجديدة أن تكون في صلة مع مسائل هي مسائلنا مع تأريخنا ولاسيما صيرورتنا ولكن ماذا تعني أفاهيم زماننا أو أي زمان كان ؟ ليست الافاهيم أزلية لكن هل هي مع ذلك زمانية ؟ ماهو الشكل الفلسفي لمسائل هذا الزمان ؟ أذا كان أفهوم أفضل من السابق فذلك لانه يسمعنا تغيرات جديدة وأرجاع مجهولة ويجري تقطيعات شاذة ويجلب حديثاً يحلق فوقنا " . [٤]لابد للافاهيم أن تخضع لعمليلت التحويل والتعديل والتحوير والاتعين ، أفاهيم خشبية لاحياة فيها ، ليس الافهوم أبدياً وليس ذلك زمانياً ، فهو دائما في غير أوانه ولايمكن للمرء مثلاً أن يبقى أفلاطونياً أو ديكارتياً أو كانطياً بشكل مرئي والسبب ببساطة هو أن المسائل التي أجاب عنها هولاء الفلاسفة تتغير بالضرورة ، أذاً لاأتباع في الفلسفة من دون تجديد .

(٧)تأريخ الفلسفة وتشيد مسطح المحايثة : أن مسطح المحايثة هو أفهوم رئيسي عند جيل دولوز وهو لم يبدأ بأستخدامه منذ بداية مسيرته الفلسفية ، في الفرق والتكرار تكلم دولوز على قوة الفكر وتحدث عن أنطولوجيا تواطىء الكون وتحدث من ثم ولاسيما في كتاب " الالف سطح " عن مسطح التماسك الذي أستخدمه في مقابل مسطح التنظيم ، ويمكن القول أن مصطلح الجسد بلا أعضاء الذي أستخدمه خصوصاً في كتاب " أنتي أوديب " يندرج في السياق نفسه وأستقر دولوز أخيراً على مسطح المحايثة الذي أستخدمه كعنوان لاحد الفصول كتاب "ماهي الفلسفة " ، وتستعمل المحايثة في مقابل المفارقة والامبيرية المجاوزة أو الجذرية التي لاتؤمن بأي شيء مفارق وهي تحززحقلها المجاوز بوصفه مفردات لاشخصية وفرادات قبل فردية . ولاتكون المحايثة في نظر دولوز محايثة الالذاتها كما هو الحال مع فلسفة سبينوزا لذا أعتبر دولوز ، أن سبنوزا هو أمير الفلاسفة من حيث هو فيلسوف المحايثة بأمتياز . "ولمسطح المحايثة وجهان صورة الفكر ومادة الكون ، تعنى صورة الفكر سؤال ماالتفكير . وتعني مادة الكون سؤال مالمقصود من الكون ، الفلسفة في نظر دولوز هي أنطولوجيا تواطؤ الكون تحديدا وعلى الفكر أن يعبر عن هذه اللانطولوجيا "[٥]. تكون الافاهيم محايثة لمسطح المحايثة وليس العكس أذ ليس هناك من أفاهيم كلية ،وتفترض الافاهيم مسطح المحايثة اللامحدود وأن كان هذا الاخير

---

[١] المصدر السابق ص ٨٠ .

[٢] د. جمال نعيم " جيل دولوز وتجديد الفلسفة " المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص١١٧ .

[٣] جيل دولوز "ماهي الفلسفة " ص ١٣ .

[٤] المصدر السابق ص ٣٢

[٥] د. جمال نعيم " جيل دولوز وتجديد الفلسفة " ص ١٢١ .

لايتضمن الا المناطق التي تتوزع فيها الافاهيم توزعاً بدوياً هو اللامحدود من حيث أنفتاحه ، أذا أضافة الى الافاهيم هنالك مسطح المحايثة ولابد لتأريخ الفلسفة أن يأخذ هذا الامر بعين الاعتبار ، أذ لايمكن التكلم على الفلاسفة من دون التكلم على تشييد مسطح المحايثة لديهم ، وكل فيلسوف كبير يشيد مسطح محايثة مختلف ، وقد لخص جيل دولوز في كتاب " ماهي الفلسفة " كل تأريخ الفلسفة من وجهة نظر تشييد مسطح المحايثة . أذن على تأريخ الفلسفة أن يبين أختلاف وجهات النظر أذ أختلافات مسطحات المحايثة عبر العصور ، أو منذ الفلاسفة فالفكر الفلسفي لايفكر بالطريقة ذاتها وقد قال دولوز ، أن هناك صورة كلاسيكية للتفكير يجب تقويضها وأحلال صورة حديثة مكانها ويجب أن نحدد أكثر فنقول أن لكل فيلسوف كبير صورة معينة عن الفكر ومادة معينة للكون .

وتعبر صورة الفكر عن توجهات الفكر وأتجاهاته عن خطوط طوله وخطوط عرضه وهي بمثابة خارطة طريق للفكر أو أطلس للفكر ولايمكن للفكر أن يفكر من دون خارطة طريق ، لذا على تأريخ الفلسفة أن يهتم بهذا الفكر ، ولقد أعتبر دولوز أن لدى الفلاسفة الذين أهتم بهم صورة معينة عن الفكر تناقض ماهو قائم . يقول دولوز " أذا كان تأريخ الفلسفة يقدم العديد من المسطحات المتمايزة جداً فلا يعود سبب ذلك الى الاوهام وتنوع الاوهام فحسب وليس فقط لأن كل منها " أي المسطحات " له طريقته المستأنفة دائماً في أحياء المفارقة فذلك يتم أيضاً بشكل أعمق في طريقته في صنع المحايثة ، كل مسطح محايثة يجري أنتقاء لما يقود الى الفكر ميدئياً ولكن هذا الانتقاء هو الذي يختلف من مسطح لآخر . ويضيف : الايجلب في النهاية كل فيلسوف كبير يرسم مسطحاً جديداً للمحايثة ، مادة جديدة للكون ويثير صورة جديدة للفكر الى درجة أنه قد لايوجد فيلسوفان كبيران على المسطح نفسه ؟ ذلك أنه من الصحيح أننا لانتصور فيلسوفاً كبيراً من دون وجوب أن نقول عنه : أنه غير مايعنيه التفكير بشكل مختلف " وفقاً لفوكو وعندما نميز فلسفات عدة عند مؤلف بعينه الا يعني هذا أنه هو نفسه قد غير من المسطح وعثر على صورة جديدة أيضاً " [1] وينطبق هذا الامر نفسه على دولوز لاننا نجد عند دولوز أثار من كنط وبرغسون وسبينوزا ونيتشة وأفلاطون والرواقيون وليبنتز ، وحتى من فوكو ، لقد أستطاع دولوز أن يبتدع فلسفة جديدة من خلال قراءته لبعض الفلاسفة ومن خلال أضافته الى هذه القراءة . . لاتهتم الفلسفة بالبحث عن الحقيقة وأن مقولة الحقيقة لاتهمها بل تهمها مقولات أخرى أمثال البارز والهام واللافت . لذا لايمكن القول عن أي فيلسوف أنه على صواب أو على خطأ من هنا يشبه دولوز تأريخ الفلسفة بفن البورتريه في الرسم " أن تأريخ الفلسفة قابل للمقارنة بفن البورتريه ليس المقصود هو التشبه أي تكرار ماقاله الفيلسوف بل أنتاج التشابه عبر أستخراج مسطح المحايثة الذي أقامه والافاهيم الجديدة التي أبدعها في الوقت نفسه أنها بورتريهات ذهنية ". [2] وليس تحديد مسطح المحايثة عند هذا الفيلسوف أو ذاك مسألة سهلة كيف يمكن القول أن هذا الفيلسوف يندرج في أطار المسطح السابق نفسه " ويضيف عليه ويعدل فيه " ويأتي معنى أن نقول أن فيلسوفاً ما هو من أتباع الفيلسوف السابق " يقول دولوز " " هناك الكثير من المسائل التي تطرح وتعني الفلسفة مثلما تعني تأريخ الفلسفة فتارة تنفصل وريقات مسطح المحايثة عن بعضها الى درجة التضارب فيما بينها وتناسب كل واحدة منها هذا الفيلسوف أو ذاك وطوراً على العكس تتجمع لتغطي على الاقل حقبات طويلة نسبياً وأكثر من ذلك فأن الصلات القائمة بين تشييد مسطح قبل فلسفي وأبداع أفاهيم فلسفية هي في ذاتها مركبة فيمكن للفلاسفة خلال حقبة طويلة أبداع أفاهيم جديدة مع بقائهم على المسطح نفسه ومع أفتراضهم الصورة نفسها التي وضعها فيلسوف سابق يعلنون أنهم ينتمون أليه كمعلم لهم ، أفلاطون والافلاطونيون الجدد كانط والكانطيون الجدد . [3] أذاً الانتماء الى هذا الفيلسوف أو ذاك لايتم من دون تغيير في مكونات الافاهيم وهذا أمر طبيعي لان المسائل الجديدة تتطلب هذا التعديل وهذا التفسير ولايتم أيضاً من دون تغيير في مسطح المحايثة .

(٨)مسطح المحايثة تحديد في المفهوم :بدأ دولوز أنطلاقاً من كتابه الثاني " نيتشة والفلسفة " بالحديث عن صورة الفكر وأعتبر أن هناك مواجهة بين نيتشة وماهو سائد في فلسفته ، وتحدث عن الفكر البدوي عند نيتشة وأستمر بأستعمال هذا المصطلح الاساسي في غالبية كتبه تقريباً الى أن أستقر به الرأي في كتاب " الالف سطح " الى أستعمال مصطلح مسطح المحايثة على أساس رفض المفارقة تماماً وهنا يظهر تأثره الكامل بسبينوزا ، فالافاهيم كلها محايثة لمسطح المحايثة وليس العكس ليس مسطح المحايثة محايثاً له ، أو للذات أو الذات الاخرى أو لاي مفهوم أخر . أذاً يجب أن نجد كل الافاهيم على مسطح المحايثة ، لذا فأن واحد التأمل أو ذات التفكير أو الذات الاخرى للتواصل ، ماهي ألا أوهام لان كل الهويات تنهار أعني هويات الله والانسان والعالم وبالتالي لايمكن التأسيس عليها .

وأضافة الى المحايثة يشير مسطح المحايثة الى البعد الانطولوجي في فلسفة دولوز على أساس أن هناك وجهان لمسطح المحايثة : صورة الفكر ومادة الكون ، أذا تتعلق الفلسفة بالكون والفكر الذي يفكر هذا الكون . وأذا كانت الفلسفة تقوم على أبداع الافاهيم فأنها أيضاً وقبل كل شيء طريقة معينة في التفكير وكل فيلسوف جديد يحدث تغييراً في صورة الفكر القائمة ويفكر بطريقة مغايرة " الفلسفة دعوة للتفكير بصورة مغايرة " وليست أنتاجاً للمعطيات جديدة بل تفكر بطريقة جديدة وتتغير الاشياء تبعاً لهذه الطريقة في التفكير لتفكر بطريقة مختلفة " [4] . تتناول التجديد في الفلسفة قبل أي شيء ، التجديد في طريقة التفكير فيما يعنيه التفكير وفيما يعنيه التوجه في التفكير ، علينا أن نهتم بتوجهات الفكر وأتجاهاته قبل أي شيء أخر . لايقدم لنا ديكارت أو كانت معطيات جديدة غائبة عنا و بل يفكر كل فيلسوف بطريقة مغايرة وتبعاً لهذه الطريقة يتم تقطيع الاشياء من جديد عبر الافاهيم ، أن ميزة الفيلسوف أنه يفكر من خلال الافاهيم . وميزة العالم أنه يفكر ماحوله من خلال أبداعاته العلمية أي الدوال والفنان يفكر العالم من خلال أبداعاته الفنية أي الادايك والاشاعير ، وهناك شيء أخر غير الافاعيل الفلسفية والعلمية والفنية فأضافة الى الافاهيم هناك مسطح المحايثة وأضافة الى الدوال هناك مسطح الاسناد وأضافة الى الادايك والاشاعير هناك مسطح التركيب . وأذا أفترضنا أن هويات الله والانسان والعالم قد أنهارت فلا يبقى أمام الفيلسوف والعالم والفنان سوا الخواء الذي يضم كل التعينات الممكنة التي تندثر ما أن تولد وتعجز عن أقامة أية صلة فيما بينها يهم الانسان العادي بالاراء التي يكفيها مبادىء التداعي ، أي التجاور والتشابه والسببية لتشكيلها لكن لايكتفي الفنان والعالم والفيلسوف بالاراء بل هم يهملون الاراء ، ويحاولون أبداع الافكار الفريدة التي لاتكفيها مبادىء التداعي و يمد العالم والفيلسوف والفنان أسطحاً فوق الخواء ، ليتمكنا من التفكير مجدداً وليستطيعوا محاربة الرأي لآن شقاء البشرية يتأتى من أرائها العادية والاصلية ويمكن القول أن هذه الاسطح هي بمثابة خرائط طرق للتفكير يستطيع المفكر من خلالها أن يفكر ويتقدم في أراضي بلا علامات .

---

[1] المصدر السابق ص ٥٢ .

[2] المصدر السابق نفس الصفحة .

[3] جيل دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٥٧ .

[4] د. جمال نعيم " جيل دولوز وتجديد الفلسفة " ص ٤٣٤ .

الخواء فراغاً ولاعدماً بل هو يشتمل على كل التعينات الممكننة التي تتلاشى حتماً ما أن تولد من دون نتيجة ولاأثر ومن دون أقامة أي صلة بينهما . أذا قبل أبداع الافاهيم أو على الاقل بالتزامن مع أبداع الافاهيم على الفيلسوف أن يغير من صورة الفكر وتبقى المعطيات العلمية أو الفنية بدائية في كل فلسفة حتى لو كانت فلسفة عظيمة ولكن مايبقى أبدياً ويكون في غير أوانه دائماً ، ومالايزول بمرور الزمن هو الطريقة التي يفكر بها الفيلسوف فلا يستطيع أحد أن يقول أنه يفكر أفضل من أفلاطون أو كنط على سبيل المثال :

الفيلسوف الكبير هو من يفكر بطريقة مختلفة من يبتدع طريقة جديدة في التفكير ، ويتطلب هذا الامر بالضرورة تغييراً في معنى التفكير وأبداع لافاهيم جديدة لأن أبداع الافاهيم هو الوجه الاخر لتغيير طريقة التفكير لذا نقول أن الافاهيم بوصفها أفاعيل تفكير هي العنصر المكمل لتغيير طريقة التفكير . وفي ظل غياب أي ضمانة ، على الانسان أن يواجه مصيره ويقطن في لجة الخواء لينتفي فيه تعينات يستطيع من خلالها تشكيل العالم أو رسمه ومن دون هوة المغامرة ، سيبقى الانسان يتخبط في خضم الاراء المتنافسة كل قول فلسفي هو في النهاية أعادة قراءة للواقع والمعطيات قراءة مغايرة ، أن صورة الفكر هي بمثابة خارطة طريق أو مخطط توجيهي أو أطلس للفكر بما هو كذلك . أن من الواجب علينا أن لانخلط بين الافاهيم ومسطح المحايثة وأن كانا متلازمين ، مسطح المحايثة هو بمثابة الحدس الاصلي لدى الفيلسوف ، وأذا أعتبرنا أن الفلسفة تبدأ مع أبداع الافاهيم فأن مسطح المحايثة المفترض قبل الفلسفي ولا يعني هذا أنه سابق لوجود على أبداع الافاهيم ، أذا علينا في كل فلسفة كبيرة أن نميز بين أبداع الافاهيم وبين أقامة مسطح المحايثة الذي يحتضن أبداع الافاهيم . ليس مسطح المحايثة أفهوماً ولا أفهوماً أول تنبثق منه بقية الافاهيم ، أنه بمثابة الحقل أو الافق أو الطاولة أو المسطح الذي يبنى عليه الافاهيم ، وليس السستم الفلسفي سستماً مغلقاً بل هو سستم مفتوح تتصادى الافاهيم الان هناك واحداً كلاً قوياً غير متجزىء يجمعها جميعاً ، وتكون هي محايثة له ويجب أن نجد كل شيء على هذا المسطح لذا سمي مسطح لمحايثة الاقاهيم ، وهو يبقى مفتوحاً لامحدوداً . أن الفلسفة بنائية لكنها تقوم بعمليتين مختلفتين : أبداع الافاهيم وتشييد المسطح وتختلف هاتان العمليتان في الطبيعة وهما متلازمتان "الافاهيم هي صنوف من الكل متجزئة " [١].الأن الفلسفة " التي يبتدعها تقدم ، دائماً كلاً قوياً غير مجزأ حتى لو بقي مفتوحاً ، واحداً كلاً غير محدود " . [٢]أن مسطح المحايثة هو بمثابة الافق الالذي تتحرك فيه الافاهيم ليس المقصود الافق النسبي بل الأفق المطلق ، يتضمن مسطح المحايثة " الحركات اللامتناهية التي تعبره لتعود ثانية " بينما تتضمن الافاهيم " السرعات اللامتناهية للحركات المتناهية " التي تعبر مكونات الافاهيم في كل مرة ، أن مسطح المحايثة هو عبارة عن "خطوط مبيانية " بينما الافاهيم هي عبارة عن خطوط مشدة " ، ويعطي دولوز أمثالاعديدة للتفريق بين مسطح المحايثة والافاهيم منها : (تشبه الافاهيم الموجات الكبيرة التي تصعد وتهبط ويكمن مسطح المحايثة هو الموجة الوحيدة التي تلفها وتغسلها) [٣] .

(الافاهيم هي أرتصافات عينية أشبه بهيئات الله ، ولكن المسطح هو الالة المحددة بحيث تشكل الارتصافات قطعها) [٤]. (وبيئة المسطح صحراء تعمرها الافاهيم من دون تجزئتها ، الافاهيم هي وحدها مناطق المسطح الوحيدة لكن المسطح هو الماسك الوحيد للافاهيم ليس للمسطح مناطق أخرى غير القبائل التي تعمره وتنتقل فيه)[٥].

هنا يستعيد دولوز الفكر البدوي من دون أن يسميه وهناك نوعين من التوزيع : التوزيع الحضري الذي يقوم على تقسيم الموزع ، والتوزيع البدوي الذي يقوم على أفتراش الموزع والتوزيع فيه من دون تجزئته ، أن مسطح المحايثة هو بمثابة الصحراء التي تتوزع فيها القبائل وتفترشها من دون تجزئتها ، تبقى هي الحاضن الوحيد لكل القبائل وتبقى مع ذلك لامحدودة .

أن من المهم التنبيه الى أن مسطح المحايثة لايشيد دفعة واحدة بل يتم عبر مراحل لاسيما عبر أزمات يمر بها الفيلسوف ، وهذا ماحصل على سبيل المثال مع فوكو ، حيث كان يكشف دائماً أبعاداً جديدة ومحاور جديدة لفلسفته ، كذلك مع دولوز الذي أنتقل من صورة الى صورة ومن أبعاد الى أبعاد ، وليس مسطح المحايثة المنهج لاكل منهج يفترض وجوده ، كل منهج يفترض صورة معينة للفكر يعمل ضمنها منهج ديكارت والصورة الكلاسيكية للفكر على سبيل المثال . وليس مسطح المحايثة أيضاً (حالة معرفية) [٦]. نكونها نكونها عن الدفاع وأشتغاله لأن مسطح المحايثة بوصفه صورة الفكر لايتعلق بالاشياء وحالات الاشياء التي تشكل مجرد وقائع من دون أن تشكل خصائص في المبدأ ، تعود الى الفكر بما هو كذلك . يجري مسطح المحايثة أنتقاء لحركات معينة من الخواء جاعلاً منها خصائص تعود الى الفكر بما هو كذلك تعود الى الفكر في المبدأ بغض النظر عما هو في الواقع ، وليس مسطح المحايثة مجرد رأي نكونه عن الفكر (ليس مسطح المحايثة أفهوماً مفكراً ولا قابلاً للتفكير لكنه صورة الفكر الصورة التي يعطيها الفكر لذاته عما يعنيه التفكير وأستعمال الفكر والتوجه في الفكر)[٧]. ويضيف دولوز " ليس الرأي الذي نكونه عن الفكر عن أشكاله وأهدافه ووسائله في هذا الاوان أو ذاك ، تستلزم صورة الفكر توزيعاً صارماً لما هو واقعي وما هو مبدئي مايعود الى الفكر بما هو كذلك يجب أن يفصل عن العوارض التي تحيل الى الدفاع ، أو الى الاراء التأريخية "[٨]. لذا لايمكن نقد فيلسوف بمعارضته بأمثلة ووقائع أمبيرية بل يجب أن يتناول النقد ماهو مبدئي ماهو مجاوز في فلسفته .

(١٠)مكونات مسطح المحايثة :

لامجال لتمييز أحداثيات زمانية مكانية للسطح الذي لايشمل الا على الحركات اللامتناهية التي تعبره وتقود من ثم مفسحة في المجال لحركات لامتناهية أخرى ومطلقة أياها " مايميز الحركات اللامتناهية هو ذهاب وأياب "[٩]

ويضيف " الحركات اللامتناهية مزدوجة ولاتوجد الا شنة من حركة الى أخرى ، ونقول بهذا المعنى أن التفكير والكون هما الشيء الواحد نفسه " [١٠].

---

[١] دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٣٨ .
[٢] المصدر السابق نفس الصفحة .
[٣] المصدر السابق نفس الصفحة .
[٤] المصدر السابق ص ٩٩ .
[٥] المصدر السابق ص ٣٩ .
[٦] المصدر السابق ص ٤٠
[٧] المصدر السابق ص ٤٠
[٨] المصدر السابق نفس الصفحة .
[٩] دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٤٠
[١٠] المصدر السابق نفس الصفحة .

لذا يعتبر دولوز أن لمسطح المحايثة وجهين : واحداً للفكر ، وأخر للطبيعة ، واحداً للفكر ، وأخر للكون ، الوجه الاول بوصفه صورة الفكر والوجوه الثاني بوصفه مادة الكون .

أن دولوز في الواقع يجمع ماهو فكري محض الى ماهو كينوني فالفلسفة هي تفكير الكون والفكر الذي يفكر هذا الكون ، ربما نفهم هذه الفكرة لو عدنا الى نظرية (تواطؤ الكون) [١] عند دولوز . يقال الكون بمعنى واحد عن كل ماهو مختلف عن كل أنماطه وجهاته الجوانية ، وعلى الفكر الذي يفكر هذا الكون أن يعكس حقيقة الكون ، فأذا كانت الكثرة على سبيل المثال هي الاساس في الكون فأن على الفكر أن يتبع منطق الكثرة والعكس صحيح أي أذا كان منطق الفكر هو الكثرة فعلينا أن ننظر الى حقيقة الكون ككثرة ، الفرق أول والهوية أثر سطحي أو صوري للفرق . أذا على صورة الفكر أن تعبر عن هذا الكون وأن لاتكتفي بمسلمات صورة الفكر الكلاسيكية القائمة على التصور والتي تصلح لعالم التصور بهذا المعنى يقال أن الفكر والكون هما الشيء الوحيد نفسه أو بالاحرى أن الحركة اللامتناهية ليست صورة للفكر من دون أن تكون أيضاً مادة للكون .

أذا كانت الكثرة كأسم موصوف هو الاول في الكون ، فلا يمكن لهذه الكثرة أن تفكر عبر صورة للفكر تصلح للوحدة ، وتعكس منطق الوحدة لذا عندما أنطلق دولوز من الكثرة أصبحت الفلسفة منطق الكثرات ، أذا يجب على مسطح المحايثة كفكر وكطبيعة أن يشتغل بالمنطق نفسه وأن يعبر عن الشيء نفسه يقول دولوز :

(عندما أنبثق فكر طاليس جاء أرتجاعه كالماء . وعندما أصبح فكر هرقليطس موضع جدل جاد أرتدت النار عليه ، أنها السرعة ذاتها في الاتجاهين " فالذرة تنطلق بسرعة الفكر ذاتها ") [٢].

الطبيعة التكسرية لمسطح المحايثة :

يضم مسطح المحايثة حركات لامتناهية أيجابية وأخرى سلبية وفي كل فلسفة نميز بين هذين النوعين من الحركات اللامتناهية ،مثالاً : التوجه نحو الصواب كحركة لامتناهية أيجابية في صورة الفكر الكلاسيكية والموضوع في الخطأ كحركة لامتناهية سلبية .

ويشيد كل فيلسوف مسطحه وفق الانتقاء الذي يجريه للحركات اللامتناهية للاتجاهات والتوجهات المطلقة لذا تختلف صورة الفكر من عصر الى أخر بل من فيلسوف الى أخر ولايمكن للمرء أن يصبح فيلسوفاً بحصر المعنى من دون أن يغير في صورة الفكر ، أو من معنى التفكير وعليه أن يفكر بشكل مختلف كما عبر عن ذلك فوكو ،

ولانتصورن مسطح المحايثة كسطح مستو بل هو مايء بالنتؤات والتجويفات والتحدبات ، وهذا مايشكل طبيعته التكسرية بالاضافة الى ذلك يجب أن نفهم الطبيعة التكسرية لمسطح المحايثة بشكل يفهم منه أن هذا الاخير يملك الخصائص ذاتها ، والحركات اللامتناهية ذاتها ، في كل ناحية من نواحيه ، من دون أن نستطيع من ذلك ، تقطيعه لانه غير قابل للتجزئة يقول دولوز : (بعيداً عن أن تقطع حركات اللامتناهي المتنوعة ، الواحد الكل لمسطح المحايثة ، فأنها تتداخل كثيراً فيما بينها ، الى درجة أنها تشكل منحناه المتغير تجويفاته وتحدباته ، طبيعته التكسرية الى حد ما) [٣].

التعريف بالافاهيم " الاشتدادات ، والحدوس " :

الافاهيم هي أشتدادات في حين أن مسطحات المحايثة هي حدوس ، نجد في الافاهيم خطوطاً مشتدة ، بينما نجد في مسطح المحايثة خطوطاً مبيانية ، يضم المسطح : " أتجاهات مطلقة ذات طبيعة تكسرية " [٤] في حين أن الافاهيم هي عبارة عن " أبعاد مطلقة ، مساحات أو أحجام متجزئة دائماً تعرف بشكل مشتد " [٥] .

أذا كان مسطح المحايثة عبارة عن خطوط مبيانية عن أتجاهات أو توجهات مطلقة وعن حدوس ، فأن الافاهيم عبارة عن خطوط مشتدة ، عن أشتدادات تعبر بدرجات متفاوتة عن هذه التوجهات المطلقة ، عن هذه الحدوس أو بالاحرى عن الحدس الاساسي للفيلسوف .

توجهات الفكر وأتجاهاته المطلقة شيء والافاهيم التي تعبر بشكل مشتد عن هذه التوجهات والاتجاهات شيء أخر ، توجهات الفكر عبارة عن الحركات اللامتناهية التي تعبر مسطح المحايثة لتعود في الحال ، في حين أن الافاهيم عبارة عن السرعات اللامتناهية للحركات المتناهية التي تعبر مكونات الافهوم الذي يعكس بدرجة معينة حقيقة الحبكات اللامتناهية .

مادامت الحكمة تعبر عن التعالي والمفارقة فهي بعيدة كل البعد عن الفلسفة ، أن الفلسفة في رأي دولوز هي المحايثة المحضة لامكان فيها للالهة ولا للملوك ، لامكان لحكام السماء ولا لحكام الارض ،في عالم الفلسفة يفكر الحكيم عبر الصورة مستنداً الى متعال في السماء أو في الارض ، أما الفيلسوف فأنه يفكر المحايثة المحضة التي تبتلع ألهة الارض أو الهة السماء معاً .

وليس من السهل الحفاظ على الحركات اللامتناهية في ظل أقامة نوع من التماسك أو القوام كما أنه ليس من السهل أيضاً الحفاظ على المحايثة من دون أدخال المفارقة مجدداً من مسطح المحايثة ، وتثير المحايثة نفوراً وغضباً من أصحاب الاديان وأصحاب الرأي والحكماء على السواء ، وأذا قلنا أن الفلسفة محبة الحكمة فأنها في الواقع قليلة الحكمة ، لان المحايثة تبتلع الحكماء ورجال الدين معاً ، ولاتترك للواحد أو للذات الاخرى . تلك هي الاوهام الثلاثة التي عبرتها الفلسفة من خلال التأمل والتفكر والتواصل .

وليس مسطح المحايثة أفهوماً ، ولا أفهوم الافاهيم حتى لو وحدنا العناصر ذاتها في الافاهيم ، وعلى مسطح المحايثة التفكير والخطأ وفقدان الذاكرة والحماقة والبلاهة قد يشكل مجرد وقائع أمبيرية تعبر عن الاشياء وحالات الاشياء ونستطيع بالتالي أن نستخرج منها أحداثاً بشكل أفاهيم ، لكنها قد تشكل أيضاً أتجاهات لامتناهية لصورة الفكر وأتجاهات وتوجها بشكل مختلف عن الاول حركات لامتناهية لصورة الفكر وأتجاهات وتوجهات مطلقة لها يقود الى الفكر بما هو كذلك ، ولذا لايمكن أستنتاج الافاهيم عن مسطح

---

[١] نظرية تواطؤ الكون : يقال الكون بمعنى واحد والمعنى نفسه عن كل ماهو موجود ، عن كل ماهو مختلف وأذا أردنا بسط الامور نقول أن الكون وفقاً لنظرية تواطؤ الكون يقال بمعنى واحد والمعنى نفسه عن الله والانسان والحيوان والنبات والجماد ، أما في نظرية ألتباس الكون أي أشتراك لفظ الكون ، فلا يقال الكون بمعنى واحد والمعنى نفسه عن الله والانسان وبقية الكائنات لانه لايجوز أن نقول أن الكون يقال بالمعنى نفسه عن الله وعن الكرسي على سبيل المثال وأخيراً المماثلة أذاً يقال الكون بالمعنى نفسه لكن عبر التمثيل .
د جمال نعيم : جيل دولوز وتجديد الفلسفة " ص ٢٠٨

[٢] جيل دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٤١ .

[٣] المصدر لسابق ص ٤١ .

[٤] المصدر السابق ص ٤٢ .

[٥] المصدر السابق نفس الصفحة .

المحايثة لانهما يختلفان في الطبيعة ، ويجب تشييد الافاهيم كما يجب تشيد المسطح كل أفهوم أوكل مجموعة من الافاهيم تفترض صورة معينة للفكر بما هو كذلك وأذا كانت الفلسفة تبدأ مع بناء الافاهيم فأن مسطح المحايثة هو بمثابة الخلفية قبل الفلسفية للفلسفة ، ويمكن القول أيضاً أنه بمثابة الخلفية اللافلسفية للفلسفة يقول دولوز (أن اللافلسفي هو ربما في قلب الفلسفة مثل الفلسفي ذاته) [١] .

لذا يعتبر دولوز أن الفلسفة قول يتوجه الى الفلاسفة كما الى غير الفلاسفة ، أنها قول يتوجه الى الجميع من دون أستثناء أي الى الفلاسفة والفنانين والعلماء على سبيل المثال كتاب الاطيقا لسبينوزا وكتاب " ألف سطح " لدولوز وغيتاري .

وأذا كانت الافاهيم تبنى بطريقة عقلانية وواعية فأن مسطح المحايثة الذي هو عبارة عن حدوس تبنى بوسائل غير عقلانية حيث يتم اللجوء الى وسائل خفية وغير عقلانية وربما حرفية لذا ينطوي المشروع الفكري والفلسفي على خطورة دائمة مع أن التفكير يشير في البداية " اللامبلاة العامة " ولاتنضح هذه الخطوات منذ البدء بل تبقى ملازمة للمشروع ذاته ، والخوف كل الخوف هو من الضياع مجدداً في الخواء ، أو في الركون الى أراء نهائية وثابتة ، وهكذا نجد الفنان والعالم والفيلسوف كأنهم يأتون من بلاد الاموات ، حيث يبقى الخواء متربصاً بالافاهيم وهو يخوي كل تماسك ويحول دون قيام أي صلة بين التعينات كما أن التعب يمكن أن يحل بالفيلسوف ويجعله يركن الى أراء نهائية ويمنعه من الابداع .

(١٣)دولوز وقراءة تأريخ الفلسفة من وجهة نظر مسطح المحايثة :

يقرأدولوز كل تأريخ الفلسفة من وجهة نظر تشيد مسطح المحايثة ويبين الاوهام والاخطار التي رافقت هذا التشيد وينقل دولوز مسطح المحايثة في التأريخ من خلال المقال التالي :" هل يمكن تقديم تأريخ الفلسفة كله من وجهة نظر تشيد مسطح المحايثة قد نميز أذا بين الفيزيائين الذين يلحون على مادة الكون ، والنولوجيون الذين يلحون على صورة الفكر الاأن خطر الالتباس يظهر سريعاً ، فبدلاً من أن يشكل مسطح المحايثة نفسه مادة الكون هذه أو صورة الفكر هذه ، فأن المحايثة هي التي تنسب الى شيء ما يكون أشبه ب" المضاف " المادة والروح ، وهذا مابدا جلياً مع أفلاطون وخلفائه بدلاً من أن يشكل مسطح المحايثة الواحد _الكل تكون المحايثة منسوبة الى " الواحد " الى درجة أن واحداً أخر مفارقاً هذه المرة ، يتناضد مع ذاك الذي تمتد فيه المحايثة أو تنسب أليه هناك دائماً واحد وراء الواحد ، هذه هي صيغة الافلاطونيون الجدد ، يحصل لبس بين المسطح والافهوم في كل مرة تؤول فيه المحايثة بوصفها منسوبة الى شيء ما " بحيث يصير الافهوم "أفهوماً كلياً مفارقاً والمسطح صفة في الافهوم " أن يكون مجهولاً ، هكذا فأن المسطح المحايثة يعيد أطلاق المفارق : فهو مجرد حقل في الظاهرات ، ولايعود يمتلك الاثانياً ، ماينسب أولا الى الوحدة المفارقة . [٢]

تسوء الحالة مع الفلسفة المسيحية وسيبقى طرح المحايثة هو التشييد الفلسفي المحض ، لكن لايحتمل في الوقت نفسه الا بجرعات صغيرة جداً ، أنه مراقب بشكل صارم ومؤطر وفقاً لمقتضيات مفارقة فيضية ولاسيما خلقية وعلى كل فيلسوف أن يقدم الدليل والاعرض أثره وأحياناً حياته للخطر ، على أن جرعة المحايثة التي يحقنها في العالم والروح لاتفسر مفارقة الله الذي يجب الا تنسب أليه المحايثة الابشكل ثانوي " نيقولا ، دوكوز ، أبكارت ، بونو " تريد السلطة الدينية أن لاتحتمل المحايثة الا موضعياً ، أو على مستوى وسطي كما في ينبوع ذي مصطبات حيث يمكن للماء أن يحايث لفترة وجيزة فوق كل سطح ، لكن بشرط أن يأتي من مصدر أعلى وينزل الى الاسفل " أنتقال صعودي وأنتقال هبوطي كما يقول فال " ويمكن أعتبار المحايثة بمثابة المحك المحرق لكل فلسفة لآنها تأخذ على عاتقها جميع المخاطر التي يجب على الفلسفة أن تواجهها وكل الادانات والاضطهادات وأشكال الانكار التي تتعرض لها الفلسفة هذا مايقنع بأن مسألة المحايثة ليست على الاقل مجردة أو نظرية وحسب ، لانرى للوهلة الاولى لماذا المحايثة خطيرة الى هذا الحد لكنها كذلك ، أنها تبتلع الحكماء ، نكون متأكدين في كل مرة تؤول فيها المحايثة كمحايثة لشيء ما ، من أن هذا "الشيء ما " يعيد أدخل المفارق . يجعل الكوجيتو أنطلاقاً من ديكارت ومع كانط وهوسرل ، معالجة مسطح المحايثة كحقل للوعي ، ممكناً لانه يفترض بالمحايثة أن تكون محايثة لوعي محض ، لذات مفكرة يسمي كانط هذه الذات مجاوزة وليست مفارقة لانها بالضبط ذات حقل المحايثة لكل تجربة ممكن . بحيث لايفلت لها الاالخارج ولا الداخل ، يرفض كانط كل أستعمال مفارق للتأليف ولكنه ينسب المحايثة الى ذات التأليف كوحدة جديدة ووحدة ذاتية كما أنه يستطيع وبكل تفاخر أن يفضح الاماثيل المفارقة ليجعل منها " أفق " الحقل المحايث للذات لكن كانط بفعلته هذه يجد الطريقة الحديثة لانقاذ المفارقة لم تعد مفارقة شيء ما ، أو واحد أعلى من كل شيء " تأمل " أنها مفارقة ذات لاينسب أليها مسطح المحايثة ، من دون أن ينتمي الى أنا تتصور نفسها بالضرورة تلك الذات " تفكر " يصبح العالم اليوناني الذي لم يكن ينتمي الى أحد ، خاصية وعي مسيحي أكثر فأكثر نتقدم بخطوة أخرى : عندما تصير المحايثة محايثة ل" ذاتية " مجاوزة ، فأنه يجب في داخل حقلها الخاص أن تظهر علامة مفارقة ما ، أو رقمها كفعل يحيل الان الى أنا أخرى ، الى وعي أخر " تواصل " هذا مايحصل مع هوسرل ومع كثير من خلفائه الذين يكتشفون من الاخر أو في اللمم فعل المفارق السري في المحايثة ذاتها ، يتصور هوسرل المحايثة بما هي وفق من المعيش الى الذاتية ، لكن بما أن كل هذا المعيش المحض وحتى السري ، لاينتمي بالكامل الى الانا التي تتصوره ، فأن شيئاً ما من المفارق في الافق ، يقوم في مناطق اللاأنتماء : مرة تحت شكل " مفارقة محايثة أو أولية " العالم مليء بالمواضيع القصدية " ، ومرة أخرى كمفارقة مميزة لعالم بيذوتي مليء بأنوات أخرى ، ومرة ثالثة كمفارقة موضوعية ، لعالم أمثولي مليء بتشكيلات ثقافية ومجتمع البشر ، لم يعد يكتفي في هذا الاوان الحديث بتفكير المحايثة بالنسبة الى مفارق ما ، بل " يراد تفكير المفارقة في داخل المحايث بحيث تنتظر القطيعة من " داخل " المحايثة وهكذا يتلقى مسطح المحايثة مع ياسبرز التعيين الاعمق ك"شامل " لكن هذا الشامل لن يكون سوى حوض الفورات المفارقة ، يحل الكلام اليهودي _المسيحي محل اللوغوس اليوناني : فلا نعود نكتفي بأسناد المحايثة بل نجعلها تتقيأ المفارق في كل مكان لانعود نكتفي بأرسال المحايثة الى المفارق ، بل نريد منها أن ترده وتعيد أنتاجه وتصنع منه ذاتها ، ليس هذا صعباً في الحقيقة يكفي أيقاف الحركة تنزل المفارقة منذ أن تتوقف حركة اللامتناهي أنها تنتهز الفرصة لتنشق من جديد وتقفز من جديد ، وتخرج مجدداً الانواع الثلاثة للكليات " التأمل ، التفكر ، التواصل " هي أشبه بثلاثة عصور للفلسفة الابداء والنقد والفيمياء ، التي لاتنفصل عن تأريخ وهم طويل كان لابد من الذهاب الى هذا الحد في قلب القيم ، أيهامنا بأن المحايثة هي سجن " الانا واحدية " ينقذنا منه المفارق . أن أفتراض سارتر لحقل مجاوز غير شرعي يعطي المحايثة حقوقها مجدداً يمكننا الكلام على مسطح المحايثة عندما لاتعود المحايثة محايثة لشيء أخر غير ذاتها ، ربما يكون مثل هذا المسطح أمبيرية جذرية " ويمكن القول أمبيرية عليا أو مجاوزة " قد لايقدم دفقاً من المعيش المحايث لذات ما ، الذي قد يتفردن في ما ينتمي الى

---

[١] جيل دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٤٣ .

[٢] جمال نعيم " جيل دولوز وتجديد الفلسفة " ص ٤٤٢

أنا ما هو لايقدم الأحداثاً ، أعين عوام ممكننة بما هي أفاهيم ، وأغياراً أشيه بتعبيرات عن عوالم ممكنة أو شخصيات أفهومية ، لاينسب الحدث المعيش الى ذات مفارقة =أنا ، لكنه ينتسب بالعكس الى تخليق محيث لحقل من دون ذات ، لايعطي الغير مجدداً المفارقة الى أنا أخرى ، لكنه يعيد كل أنا أخرى الى محايثة حقل محلق ، لاتعرف الامبيرية الأحداثاً وأغياراً ، أنها أيضاً مبدعة عظيمة للافاهيم تبدأ قوتها في الاوان الذي تحدد فيه الذات هي تعود عادة ، لاشيء أخر غير عادة في حقل محايثة عادة قول أ " أو ت" .

أن سبينوزا هو الذي عرف تماماً أن المحايثة لاتكون الالذاتها وبالتالي هي مسطح تجتازه ، حركات اللامتناهي وتملاه الطوليات المشتدة هو أيضاً أمير الفلاسفة . وربما هو الوحيد الذي لم يعقد أي مساومة مع المفارقة ، والذي طاردها في كل مكان ، لقد صنع حركة اللامتناهي وأعطى للفكر سرعات لامتناهية من النوع الثالث في المعرفة في كتاب الاطبقا الاخير ، توصل فيه الى سرعات خارقة ، وطرقات مختصرة ساطعة للغاية بحيث لايعود بأمكاننا الكلام الاعلى موسيقى وأعصار وريح وأوتار ، وحد الحرية الوحيدة في المحايثة ، أنجز الفلسفة لانه ملىء أفتراضها قبل الفلسفي ، ليست المحايثة هي التي تنسب الى الجوهر والاحوال السبينوزية ، بل العكس أفاهيم أسبينوزا عن الجوهر والاحوال هي التي تنسب الى مسطح المحايثة بما هو يمد لنا هذا المسطح وجهيه المادة والفكر أو بشكل أكثر دقة قدرتيه ، قدرة الكون وقدرة الفكر ، أن سبينوزا هو من رواد المحايثة الذي حاول الفلاسفة كثر الافلات منه عبثاً ، هل سنصبح يوماً ما ناهجين التلقي ، الايحاء السبينوزي ، حصل هذا الامر مع برغسون ذات مرة ، فقد تم مطلع المادة والذاكرة مسطحاً يقطع الخواء ، هو في الوقت ذاته حركة لامتناهية لمادة لاتنفك عن الانتشار وصورة فكر ، لاتنفك في المبدأ عن نشر وعي محض في كل مكان ، ليست المحايثة هي التي تنسب الى الوعي بل بالعكس .[1]لعل هذا النص هو أكثف نص كتبه دولوز بالتعاون مع صديقه غيتاري في حياته ، وهويرادف بين الفلسفة والمحايثة ، فلا مجال عند دولوز لفلسفة مفارقة تحت أي نوع من أنواع المفارقة لذا لايعترف دولوز بما يسمى فلسفة يهودية أو مسيحية أو أسلامية الفلسفة =المحايثة المحضة . دولوز متابعاً سبينوزا هو فيلسوف المحايثة المطلقة فيلسوف المحايثة المحضة ، لايعترف بالفلسفة الابوصفها محايثة أو فلسفة محايثة ، ولا يعترف بالمحايثة الابوصفها محايثة لذاتها ، لابوصفها محايثة لاي مرتبة أخرى ، الخوف للتخلص منها ، دولوز فيلسوف ملحد أو بعبارة أخرى فبلسوف ملحد .

أن تأريخ الفلسفة لامعنى له الاأذا أحيا الافاهيم القديمة وعدلها وحورها من أجل أدماجها في القول المعاصر ، وأن تأريخ الفلسفة يهتم بالمسائل الفلسفية التي ترتبط بصورة الفكر . أي بمسطح المحايثة بلغة " مالفلسفة " من هنا كان النص السابق بمثابة نص تطبيقي لمنهجية دولوز في قرائته لتأريخ الفلسفة من وجهة نظر تشيد مسطح المحايثة فعلى الفلسفة أن لاتهتم بأراء الفيلسوف ومعتقداته بل عليها أن تحاول الكشف عن مسائله الفلسفية وعن طريقته في التفكير ، مالتفكير ؟ مالكون ؟ ، هذا هو مسطح المحايثة ، وكل فيلسوف يجتهد للاجابة عن هذين السؤالين . من تواطؤ الكون من الفرق والتكرار الى مسطح المحايثة ، من مالفلسفة يحاول دولوز أن يعيد قراءة كل تأريخ الفلسفة من وجهة نظر أمبيريته الجذرية منحازاً الى فئة معينة من الفلاسفة القادرين في رأيه على تقويض صورة الفكر القائمة وأبتداع صورة جديدة مكانها ، وبعبارة أخرى نقول أن دولوز لايقوم الفلاسفة الا أنطلاقاً من نسبة المحايثة في مسطحاتهم لذا أعتبر دولوز أن سبينوزا هو مسيح الفلاسفة ، والفلاسفة الاخرون هم بمثابة رسل لهذا الفيلسوف . يقول دولوز " أن تشيد مسطح للمحايثة ورسم حقل لها أمر قام به كل الكتاب الذين أهتممت بهم (حتى كانط عندما يفضح الاستخدام المفارق للتأليفات لكنه يقتصر على التجربة الممكننة لاعلى التجريب الحقيقي) . أن المحدد لايفسر شيئاً بل عليه نفسه أن يفسر :ليس هناك من كليات ولامفارقات ولاواحد ولاذات " ولاموضوع " ولاعقل ، ليس هناك سوى سيرورات يمكن أن تكون سيرورات يمكن أن تكون سيرورات توحيد وتذويت وعقلنة لكن لاشيء أكثر ، وتعمل هذه السيرورات في كثرات عينية أن الكثرة هي العنصر الحقيقي حين تحدث شيئاً ما ، والكثرات هي التي تعمر حقل المحايثة ، مثلما تعمر القبائل الصحراء ، يجب أن يبنى مسطح المحايثة فالمحايثة هي بنائية وكل كثرة قابلة للتعيين هي منطقة في المسطح " [2]يقول جون ليشته في كتابه خمسون مفكراً معاصراً " لايمكن مقارنة الفكر الافقي جذرياً بأشكال أخرى للفكر الا بصعوبة ذلك لان وسائل الترجمة تصعب صياغتها ، أن مثل هذا الفكر غالباً مايعمل وفق معاييره ومفاهيمه الخاصة ومن المهم الاشارة الى أنه لهذا السبب لم يحتضن دولوز أبداً تأريخ الفلسفة كما كان بعرف تقليدياً في فرنسا من قبل هذا الفرع المعرفي نفسه ، فبالنسبة أليه أن الفيلسوف الذي يفكر (أي ذلك الذي يخلق حدثاً في التفكير) يفصل نفسه عن تأريخ الفلسفة يدخل الصحراء بمصطلح نيتشة " [3] .

(١٤)أوهام مسطح المحايثة :هناك عدد من الاوهام تحيط بمسطح المحايثة وهي لامتناهية في طبيعتها لأنه لايوجد مسطح محايثة واحد بعينه تبنى عليه الافاهيم . ونلاحظ أن هناك مسطحات كثيرة في تأريخ الفلسفة لأن كل فيلسوف أمتاز بحدوس معينة ، وأجرى أنتقاءاً معيناً لبعض تعينات الخواء الممكنة ليجعل منها حركات اللامتناهي على مسطح المحايثة ، ولايمكن لمسطح واحد أن يضم جميع تعينات الخواء الممكنة من دون أن ينبه مجدداً في هذا الخواء لذا تتعدد مسطحات المحايثة . وتتعدد مسطحات المحايثة أيضاً بسبب أوهامها التي هي " سرابات الفكر " أنها ملازمة لمسطح المحايثة والمشروع الفلسفي أكثر مما تأتيه كمعوقات من الخارج ، المحايثة المحضة هي شيء عظيم في نظر دولوز لذا لايمكن تحملها بسهولة ، من هذا يعتبر دولوز أن مسطح المحايثة " مثقوب " هذا الثقب هو الذي يسمح لسرابات الفكر أن تصيبه بطريقة أو بأخرى من هذه الاوهام نذكر :

(١)وهم المفارقة : بمعنييه ، أي عندما تنسب المحايثة الى شيء ما يقع خارجها أو عندما يتقيأ المحايثة المفارق.

(٢)وهم الكليات : عندما يتم الخلط بين الافهوم والمسطح بحيث تربط المحايثة شيء ما خارجها ، ويكون هذا الشيء أفهوماً مثل الموضوع الكبير للتأمل "الله " الحيز عند أفلاطون " وذات التفكير " كما هو الحال مع كنط " والذات الاخرى للتواصل وهوسيرل لذا فأن الكلي لايفسر شيئاً ، بل هو نفسه بحاجة الى تفسير .

(٣)وهم الابدي :عندما نعتبر الافاهيم بمثابة أشياء جزئية لايمكن المس بها ، لكن الافاهيم بما هي مبدعة هي مكونات أخرى لذا هاجم دولوز موظفي الفلسفة (الذين لايجددون في صورة الفكر)[4] وبالتالي لايجددون في الافاهيم ويكتفون بفكر جاهز .

---

[1] دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٤١_ ٥٠ .

[2] النص السابق أورده د. جمال نعيم " جيل دولوز وتجديد الفلسفة " ص ٤٤٦ .

[3] جون ليتشة " خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية الى مابعد الحداثة " ترجمة : فاتن البستاني
مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٢١٤ .

[4] المصدر السابق ص ٥٢ .

(٤)وهم الاستدلالية : عندما يتم الخلط بين الافهوم والقضية ، فالقضية المنطقية لها علاقة بالمفهوم والماصدق والعلاقة الانطباقية بينهما ، لكن الافهوم له علاقة بالحدث والاشتداد ولاعلاقة له بالاشياء ، ولا بحالات الاشياء ، أنه ليس خبراً عن العالم .
(١٥)مميزات صورة الفكر الحديثة :حدد دولوز في كتابه " الفرق والتكرار " ثماني مسلمات أمتازت بها الصورة الكلاسيكية أو الدغمائية للفكر وهي " الارادة للمفكر ، والطبيعة المستقيمة للفكر ، الحس المشترك والحس السليم ، التعرف ، التصور الخطأ كحركة لامتناهية سلبية ، مسلمة القضية ، مسلمة الحلول ، وأخيراً مسلمة العلمان " [١] ودعا الى تقويض هذه المسلمات للوصول الى فكر من دون صورة نستطيع من خلاله التفكير مجدداً .ويشكل الخطأالحظ السلبي في هذه الصورة الكلاسيكية حيث رفع الى مصاف الحركات اللامتناهية التي يمكن أن يقع فيها الفكر بما هو كذلك ، وعليه أن يتجنبها ثم أنتقلنا الى الجهل والتطير ، وأخيراً الى الوهم مع كانط الذي أعتبر أن الفكر لايعاني من ضغط الخارج بقدر مايعاني من أوهام جوانية جسيمة تلازمه وتحرفه عن أفكاره أو " مساره " لكن دولوز يشددعلى الحماقة كحركة سلبية لامتناهية وذلك عندما نكتفي بأمثلة التعرف من دون الانتباه الى وجود توليد فعل التفكير في الفكر وطرح المسائل ، وقد حدد في كتاب " مالفلسفة " ثلاث سمات تصوره للفكر الحديثة :
(١)تتخلى هذه الصورة عن صلتها بالحق " الصواب " فالفلسفة لم تعد تبحث عن الحقيقة لان الحقيقة ليست شيئاً مكتشفاً بل هي أبداع قبل كل شيء ، ليس الفكر أرادة للحقيقة كما كان الحال مع الصورة الكلاسيكية للفكر ، الفكر هو أبداع ويحاول دولوز أن يحدد شروط هذا الابداع .
(٢)الفكر مجرد أمكان وحسب ، وهو بحاجة الى عنف وأكراه لتوليد فعل التفكير من الفكر ، هناك علامات تثير الفكر وتدفعه الى التفكير ويتم التفكير من وراء ظهر المفكر .
(٣)تمتلك الصورة الحديثة للفكر مجموعة من العلامات المكتسبة وهي بمثابة خطوط سلبية أو حركات لامتناهية لها قيمة من حيث المبدأ ، أي أنها تعود الى الفكر بما هو كذلك ، أمثال التأتأة واللعثمة والصرخات ، وصرير الاسنان وغير ذلك .
لايبحث الفكر عن شيء يعرفه بل عن شيء لايعرفه فهو لايفكر على طريقة شخص يمتلك منهجاً واضحاً كما هو الحال مع ديكارت بل على طريقة كلب " يقوم بحركات لامنتظمة " [٢] .
(١٥)مميزات صورة الفكر الحديثة :
(أ)مسطح المحايثة الافضل :هل يمكن القول أن هناك مسطحاً أفضل من بقية المسطحات ؟ كيف يقارن بين المسطحات ؟ وعلى أي أساس ؟ قد لايكون بأمكاننا الاجابة بطريقة مباشرة عن هذه الاسئلة ، لكن بأمكاننا القول أن مقدار المحايثة الموجودة في المسطح ، هو الذي يحدد قيمة المسطح وأفضليته على بقية المسطحات لذا ، أثنى دولوز على سبينوزا لانه طارد المفارقة في كل مكان .
أن مسطح المحايثة الافضل هو مايجب تفكيره ولايمكن تفكيره في الوقت نفسه هو بمثابة اللامفكر في الفكر " أنه الاكثر صميمية في الفكر ومع ذلك هو الخارج المطلق ، هو خارج أبعد من أي عالم خارجي ، لانه داخل أعمق من أي عالم داخلي : هذه هي المحايثة " [٣] .
ولكن مالايمكن تفكيره ومع ذلك يجب تفكيره قد فكر مرة واحدة مع سبينوزا الذي أظهر " أمكان المستحيل " . أن سبينوزا في نظر دولوز هو مسيح الفلاسفة الذي تجسد ليظهر أمكان المستحيل ، لقد شيد المسطح الاكثر نقاءاً والاكثر محايثة وكذلك " الاقل من حيث الاوهام والانفعالات السيئة والادراكات المغلوطة " . [٤]
(ب)تعدد المسطحات : يغير كل فيلسوف كبير من صورة الفكر ومادة الكون أيضاً ، ويشيد مسطح المحايثة بشكل يختلف عن غيره لكن هذا لايعني أنه لايمكن البقاء على المسطح ذاته في فترات زمنية طويلة كما حصل مع أفلاطون ، والافلاطونيون الجدد مع كنط والكانطيين الجدد ، ويخضع مسطح المحايثة حتى في هذه الحالات لتغيرات في المنحنى قد تكون أساسية الى درجة لانعود نفرق أن كنا على المسطح نفسه أم على مسطح أخر مختلف . أن القول الفلسفي قول يشق طريقه وسط الاقوال الفلسفية الاخرى من هنا أهمية تأريخ الفلسفة في نظر دولوز بالنسبة الى أنتاج القول الفلسفي المعاصر ، وربما هذا هو مايمنع قيام فلسفة بالعربية لان تأريخ الفلسفة ليس حاضراً لحد الان بالعربية . لكن ليس تأريخ الفلسفة أختصاصاً تفكرياً بل هو أختصاص أبداعي ، ويطالب دولوز بأحياء الافاهيم السابقة وتعديلها من أجل أدماجها في القول الفلسفي المعاصر كأنه يتم أبداعها من جديد ، ويطالب أيضاً بأبراز المسطحات والمسائل الفلسفية ، وأدخال تعديلات عليها ، حتى نتمكن من أستثمارها في صيرورتنا ومسائلنا الراهنة . تتكون مسطحات المحايثة من صفائح تتصل تارة لتؤلف مسطحاً واحداً أو تنفصل تارة أخرى لتشكل مسطحات مختلفة وهذا مايؤكد أن الفيلسوف لايعمل في فراغ بل يعمل في أجواء النصوص السابقة . لذا يجب النظر الى زمان الفلسفة الذي هو زمان تناضدي ، طبقي أي مؤلف من تنظيدات كأنه في حالة صيرورة دائمة ، لايدل القبل والبعد ، في زمان الفلسفة على تتال في الزمان بقدر مايدلان على نسق من التنظيدات ، من هنا يختلف زمان الفلسفة عن زمان تأريخ الفلسفة ، وليست هذه التنظيدات أو الطبقات أو الانظوادات هي ذاتها في كل المناطق التي تشكل المشاهد الذهنية ، فقد يبرز جبل هنا ، وقد تنهار هضبة هناك ، كما يجري نهر في مكان أخر ، هكذا تتعدد المسطحات بشكل دائم يقول دولوز " ليس التنظيدات تبعاً للمناطق المعتبرة هي ذاتها حتماً وليس لها النسق ذاته ، زمان الفلسفة هو هكذا زمان عظيم من التعايش لايستبعد القبل والبعد بل ينضدهما في نسق تناضدي ، أنه الصيرورة اللامتناهية للفلسفة ، التي تتقاطع مع تأريخها ولاتتحد به"[٥]. ويضيف " الفلسفة صيرورة وليست تأريخاً ، أنها تعايش مسطحات وليس تتابع سساتيم "[٦].الفلاسفة أحياء دائماً ونادرون من هنا فأن زمان الفلسفة الفلسفة هي نسق من التنظيدات والانظوادات الفلسفية التي تتعايش بحيث لايلغي فيلسوف فيلسوفاً أخر ، وهي في حالة صيرورة دائمة لذا لايمكن القول مع هيغل أن الفلسفة هي تتابع سساتيم بحيث يتجاوز كل سستم جديد السستام السابق ويجعل منه حالة مؤقتة .

---

[١] دولوز " الاختلاف والتكرار " ترجمة : وفاء شعبان
المنظمة العربية للترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٢١٣ .
[٢] جيل دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٥٥ .
[٣] المصدر السابق ص ٥٩ .
[٤] المصدر السابق ص ٥٩ .
[٥] دولوز " ماهي الفلسفة " ص ٥٨ .
[٦] المصدر السابق ص ٥٩ .

نتائج البحث :

(١)لقد بين دولوز أن مايشاع عن أزمة الفلسفة ونهايتها وحدتها عائد الى أنه قد أسيء فهمها ولكن عندما نعي أن الفلسفة هي فن أبداع الافاهيم نجد أنها ليست مأزومة بل هي راهنة وثورية ومقاومة وتتمتع بخصوصية وأستقلال عن العلوم والفنون .

(٢)ويتبين أيضاً أن تجديد الفلسفة يعني تجديداً في الاسلوب والمضمون معاً :

(أ)الذي نعنيه بالتجديد في المضمون هو :تجديداً في صورة الفكر لان كل فلسفة كبيرة تفترض صورة سرية وضمنية للفكر ، أي تحاول الاجابة عن سؤال مالتفكير ، وثانياً تجديداً في الافاهيم القديمة السائدة لان الافاهيم المتداولة لايمكن أستخدامها وأستثمارها في القول الفلسفي المعاصر ، من دون تعديل وتغيير وتحوير ، لذا يقوم تأريخ الفلسفة على أحياء الافاهيم القديمة وتغيير أتجاهها ، وعلى أبراز صورة الفكر والمسائل الفلسفية تحديداً ، ويدل الافهوم على توليد فعل التفكير في الفكر بما هو كذلك لان الفكر ليس فطرياً أكتسابياً بل هو توالدي تناسلي .

(ب)ويعني التجديد في الاسلوب أبداع لغة غريبة داخل اللغة ذاتها غريبة من حيث المفردات وغريبة من حيث التركيب اللغوي .

(٣)لايرفض دولوز السستام بل يغير في أفهومه ، فسستام دولوز هو سستم مفتوح يتناول الظروف بدل الماهيات وهو سستم متدرج ينتقل من مستوى الى أخر ويمكن أعتبار الفرق والتكرار هو بمثابة التأسيس الاول لسستم دولوز وأعتبار مالفلسفة هي التأسيس النهائي لها .

(٤)لقد قام دولوز بتقويض مسلمات صورة الفكر الكلاسيكية من أجل الوصول الى فكر متحرر من كل صورة ، وهو يؤسس للفكر البدوي وبذلك يستطيع تفكير الفرق الحر والتكرار المركب .

(٥)في مقابل التعارض بين الامبيري والمجاوز يطرح دولوز :

أن الامبيرية العليا أو المجاوزة أو الجذرية هي بأختصار بحث عن الشروط لكن عن شروط التجربة الواقعية وليس عن شروط كل تجربة ممكننة كما فعل كانط وهي تتطلب صورة جديدة للفكر ونظرة جديدة الى مذهب الملكات .

(٦)لقد فتح دولوز حقلاً جديداً للتفلسف يمكن تحديده بما يلي :

(١)الجغرافيا : يهتم دولوز بالجغرافيا ويهمل التأريخ لذا يمكن سؤال مالتفكير ، أن يعنى بتوجيهات الفكر وأتجاهاته بخطوط طوله وخطوط عرضه ويمكن القول أن صورة الفكر هي بمثابة خارطة طريق للفكر .

(٢)تواطؤ الكون : أن دولوز هو فيلسوف تواطىء الكون ، فيلسوف المحايثة المحضة أو المطلقة أيضاً ، وهو يرفض كل مفارقة ، لذا يعتبر أن سبينوزا هو أمير الفلاسفة ومسيح الفلاسفة لانه فيلسوف المحايثة بأمتياز وكل الفلاسفة هم بمثابة رسل له .

(٣)مسطح المحايثة : وهو أفهوم رئيسي عند دولوز وعبره يرفض كل مفارقة ، ولمسطح المحايثة وجهان صورة الفكر ومادة الكون ، وعلى صورة الفكر ومادة الكون أن يعملا بالمنطق ذاته لان الفكر والكون هما في النهاية شيء واحد .

(٤)اللغة الغريبة : ولايكفي أن تعمل صورة الفكر ومادة الكون بالنطق ذاته بل على أسلوب الفيلسوف أن يعكس هذا المنطق أيضاً لذا على كل فيلسوف أن يبتدع لغة غريبة داخل اللغة ذاتها .

خاتمة :

وأخيراً يتبين لنا أن دولوز فيلسوف كبير ومجدد كبير في الفلسفة وهو أستطاع أن يخلص الفلسفة من أزمتها وأن يؤمن لها دوراً ومكاناً بين العلوم والفنون ، ولعله الفيلسوف الاكثر تفلسفاً في النصف الثاني من القرن العشرين ، والاكثر أيماناً بالفلسفة ودورها من حيث هي مشروع لمهاجمة الحماقة والبلاغة ، وفي سبيل ذلك تدير الفلسفة حرب عصابات مع السلطات الخارجية والداخلية على السواء ، أي مع السلطات القائمة في الخارج والسلطات القائمة في الذهن . لقد بين دولوز أن الفلسفة مازالت ممكنة اليوم ونحن بحاجة أليها أكثر من أي وقت مضى ، وما علينا الا أن نفهمها بوصفها أبداعاً مستمراً للافاهيم تتغير تبعاً للمسائل المتغيرة . لم تمت الفلسفة ولن تموت ، وما زال بالامكان التفلسف عبر أبداع الافاهيم في شتى المجالات والحقول ، فقد وسع دولوز أفاق الفلسفة وأعاد الاعتبار أليها أذ ، لاخوف على الفلسفة من المنافسة لآن أحداً لايستطيع أن يحل محلها . ومع دواوز نشعر أننا برفقة فيلسوف يعرف ماذا يريد وماهو دوره ، وهو لاينكر لقبه ، ولايتسلط وراء عناوين مبهمة ويصر على تمييز الفلسفة عن كل من العلم والفن ، وعلى أنها فرع معرفي قائم بذاته أي أنها ليست فرعاً معرفياً تابعاً ، وعلى أنها تقف على قدم المساواة مع العلم والفن ، وهو في موقفه هذا كلاسيكي جداً ، لكن دولوز يعرف جيداً كيف يجعل كل شيء راهناً ، ولعله الفيلسوف الوحيد الذي يمكن أن نضعه اليوم في مقابل هيغل .

قائمة المصادر والمراجع :

(١)القرأن الكريم .

(٢)مصطفى ، بدر الدين " فلسفة مابعد الحداثة "
دار المسيرة للتوزيع والنشر ، عمان ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١١ .

(٣)جيل دولوز " ماهي الفلسفة " ترجمة مطاع الصفدي
مركز الانماء القومي ، اليونسكو ، باريس ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧ ،

(٤)جيل دولوز " الاختلاف والتكرار " ترجمة وفاء شعبان
المنظمة العربية للترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩ .

(٥)مانع ، فيليب " نسق المتعدد " ترجمة : عبد العزيز بن عرفة .
دار الحوار ، سورية ، اللاذقية ، ط١ ،٢٠٠٣ .

(٦)نعيم ، د. جمال " جيل دولوز وتجديد الفلسفة "
المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠ .

(٧)ليتشة ، جون " خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية الى مابعد الحداثة " ترجمة : فاتن البستاني
مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ .

(٨)الديماوي ، مالك " الامعان في الهدف خلف الخطوط " قراءة في فكر دولوز
. Com www.ejtemay

(٩)الجليدي ، مصدق بن علي "من طوبوغرافيا الاعتقاد الى مسطح المحايثة "
مقال ، ٢٠٠٨ ، منبر حر للفكر والثقافة والادب .
www. Diwan alarab .com

(١٠)حلبجة ، هيبت باني " جيل دولوز وأشكالية مفهوم الافهوم " www .alarab . com